

كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
قسم: اللغة و الأدب العربي

مخرجة جامعية علمية مقدّمة لنيل درجة الماجستير في اللغة و الأدب العربي
معدة: القرآن و الدراسات الأدبية

الأبعاد الثقافية و الدينية و أثرها في نشأة علوم القرآن

إشراف الأستاذ:

د. محمد طول.

إعداد الطالب:

عبد المالك قزل.

لجنة المناقشة:

رئيساً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د رضوان النجار
مشرفاً و مقرراً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د محمد طول
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د محمد موسوي
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر	د خير الدين سيب
عضوا	جامعة سيدي بلعبان	أستاذ محاضر	د محمد باقي



السنة الجامعية: 2008-2009

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أهداء:

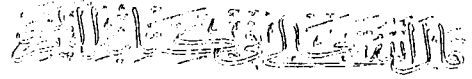
الحمد لله الذي وهبني الصحة و أنار دربي حتى تمكنت من إنجاز هذا العمل الذي
أهدي ثمرته إلى النور الذي بفضله رأيت نور الحياة والديتي الكريمة. إلى الذي لم يبخل
عليّ بشيء طيلة مشواري في الحياة و كان لي نعم السند والدي العزيز. إلى كل من
أخي و أخواتي. إلى الذين تقاسمت معهم أفراح و هموم الحياة أصدقائي الأعزاء كل
باسمه. إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من بعيد أو من قريب.

عبد المالك

مقدمة

● مقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، المذكور بكلّ لسان ، و المعبود في كل زمان ، و الموجود في كل مكان ، أحده حمداً و شكراً يليقان بجلاله و عظيم سلطانه ، و صلّ اللهم على سيدنا محمد خير من نطف بالصاد ، و هدى البشرية إلى سبيل الرشاد ، و شفيع المؤمنين يوم التناد ، صلاة يا ربنا تفتح لنا بها أبواب الخير و التيسير ، و تغلق بها عنا أبواب الشرّ و التعسير ، و تكون لنا بها ولياً و نصيراً ، و ارض اللهم على أصحابه الأخيار ، و زوجاته الأطهار و من اهتدى بهديه إلى يوم الدين - يا عزيز يا غفار - .



« وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »

سورة آل عمران الآية (104)

« كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ »

سورة ص الآية (29)

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »

سورة الحجر الآية (9)

و بعد:

إن المجتمع العربي قد عاش أول أمره في جزيرة العرب حول الرسول صلى الله عليه و سلم يتعلمون القرآن و يتدارسونه فيما بينهم كبعد ديني قصد العبادة و التقرب من الله عز و جل و لما انقضى زمن الوحي هب الصحابة إلى جمعه و توثيقه و ضبطه مخافة اللحن ، ثم لما كانت الفتوحات الإسلامية أول وسيلة من وسائل الاحتكاك بين العرب و بين غيرهم من شعوب الأرض ، حولها القائمون على الفتوحات إلى معاقل للفكر و مصادر لمعرفة نتيجة بعدهم الثقافي للقرآن الكريم و ما يتعلق به ، ففسروه و استنبطوا الأحكام منه و هدوا الناس لما فيه من تشريعات تنظم حياتهم و تدبر شؤونهم الاجتماعية و كيفية التعامل فيما بينهم ، ونقرأ في تاريخ هذه الفتوح ، فنجد أن البيئات قبل الفتح الإسلامي كانت تدرس ثقافات و معارف يغلب عليها الطابع العقلي أو تعتمد على التجربة المادية ، ثم قامت المدن التي بناها العرب الفاتحون في هذه البقاع ، تجمع في دراستها بين الدراسة التشريعية و اللغوية مجتمعة هذه الدراسات كلها حول النص القرآني فيما يقدره دارسه من التأمل و الاستشراق ثم التطبيق العملي لما يصل إليه من أحكام و قواعد .

فقد كان العرب إذن يدرسون كتابا دينيا يجمع بآياته أوصال الإنسانية التي حطمها التعصب المذهبي الديني و كان الجانب الروحي الذي نزل به القرآن من أهم الدوافع التي حدت بالمسلمين أن يصلوا بين النص والأديان السابقة حتى يمكن فهم الجديد الذي نزل به القرآن باعتباره التجربة الدينية و الثقافية الخالدة على الأيام.

كل هذا قد جعل الأمة العربية في مقدمة الأمم الراقية التي تزخر حضارتها بشتى العلوم و من بينها " علوم القرآن " الذي تفاوتت اهتمامات العلماء به ، فمنهم من فسّر القرآن كله ، ومنهم من اقتصر على تفسير سورة و آيات منه ، ومنهم من صرف اهتمامه إلى جانب من جوانبه كالدراسات البلاغية و اللغوية فتناولوا هذه الأبحاث بالتدقيق و التحقيق حتى الزاخر ، و استخلاص شيء من الدرر و الجواهر

● الأسباب الذاتية والموضوعية:

القرآن الكريم هو الكتاب الحقّ ، و التّنزيل الصّدق ، وهو الفرقان المبين و الذّكر الحكيم ، و هو أحسن أصبحت هذه العلوم خير عون للباحثين من أهل القرآن الذين يريدون الغوص في بحره الحديث و هو القول الفصل و البرهان المهيمن و التور المنزل و هو حقّ اليقين و التّبأ العظيم ، و فوق ذلك هو مفجّر العلوم و منبعها ، أودع الله فيه كلّ شيء ، فترى صاحب كلّ علم منه يغترف و عليه يعتمد ، فالأحكام يستنبطها الفقيه منه ، و صاحب العقيدة لا يخرج عنه و صاحب اللّغة به يحتمي و التّحوي كان له القرآن هو الميزان ليميّز بين خطأ القول من الصّواب ، و صاحب البلاغة هو له مرآة الحسن التّظم و البيان ، و هو دواء القلوب لأرباب السّلك ، و مما سبق يقف هذا البحث عند الطّريقة التي تمّ بها تقعيد " علوم القرآن " و الأثر الدّيني كدافع لحفظ القرآن من الضّياع، و ما يتعلق بعلومه ، و كان للموسوعة الثّقافية عند العلماء فيما بعد عامل آخر في شحذ همم العلماء نحو توجيه أبحاثهم إلى القرآن الكريم.

من أهم فوائده دراسة " علوم القرآن " التسلح بأدوات صحيحة الأصل و المعنى لخوض فهم القرآن الكريم. إذ لا يستطيع أحد الخوض في غمار التور إلّا و تجهّز بفنون هذا العلم الذي بدوره تنفرّع عنه علوم القرآن : كالتفسير و أصول الفقه ، و الفقه و غيرها ، و جب عليّ كطالب باحث الوقوف عند الطّريقة التي تمّ بها تقعيد علوم القرآن حتى أصبح علما قائما بذاته مرورا بالمراحل التاريخية منذ نشأته راجيا من الله عز وجل أن يكون عملي مثل قارب على شاطئ بحر الدراسات القرآنية.

و لما كان موضوع مذكرتي في شهادة الماجستير " الأبعاد الثقافية و الدينية و أثرها في نشأة علوم القرآن " كان من فضل الله أن هيا لي ، الشيخ ، الأستاذ الدكتور محمد طول لاختيار هذا العنوان فبدأت البحث في علوم القرآن و التفسير و لعلّ من سوء حظي لم أجد ما آخذه أو أتخلى عنه لسعة البحث من جهة و غزارة المادة من جهة أخرى، فعدت أدقق في خطة البحث و مراجعتها من حين لآخر لعلّي أجد منفذا يخلصني من الحيرة ثم استقر العزم بمباركة الأستاذ المشرف على أن يتكون البحث من مقدمة و مدخل و قسمين كل قسم يتضمن فصلين و الفصل بدوره يحتوي على ثلاث مباحث ثم خاتمة و فهارس حسب الخطة التالية:

- مقدمة.
- مدخل.
- القسم الأول: الأبعاد الثقافية و الدينية.
- الفصل الأول: الأبعاد الدينية
- تمهيد.
- المبحث الأول: الرسم القرآني.
- المبحث الثاني: تقعيد اللغة العربية.
- المبحث الثالث: تفسير القرآن
- الفصل الثاني: الأبعاد الثقافية
- تمهيد.
- المبحث الأول: الدراسات البلاغية.
- المبحث الثاني: الدراسات اللغوية.
- المبحث الثالث: الدراسات القرآنية.

القسم الثاني: علوم القرآن نشأة و تطوراالفصل الأول: علوم القرآن بالمعنى المدون في كتب التفسير (دراسة نموذجية)

- تمهيد

2- المبحث الأول: مقدمة تفسير " جامع البيان " للطبري.

3- المبحث الثاني: مقدمة تفسير " المحرر الوجيز " لابن عطية.

4- المبحث الثالث: مقدمة تفسير " الجامع لأحكام القرآن للقرطبي

- الفصل الثاني: التأليف في علوم القرآن.

5- تمهيد

6- المبحث الأول: الجانب الموضوعي لعلوم القرآن.

7- المبحث الثاني: الجانب الموسوعي لعلوم القرآن.

8- المبحث الثالث: استقلال التأليف في علوم القرآن (دراسة موازنة)

9- خاتمة

● منهجي في البحث:

اخترت منهجي و ما يتفق مع طبيعة الموضوع بإشراف و توجيه من شيعي المشرف و مباركة منه ، و قد كان يحفظه الله شديد الثقة من حيث استقصاء المعلومات و تحقيقها و هو أمر أحسبه للشيخ و أدركه ، فجاء المنهج الذي رسمته تحت أنظاره يعتمد في معظمه على المنهج الاستقصائي التحليلي الذي يتطلب التحري في البحث و الجمع علاوة على المنهج التاريخي عبر ترتيب تطور علوم القرآن ، مراعي تاريخ و فيات الأعلام قصد ترتيبها الزمني ، و استعنت كذلك بالمنهج المقارن من حين لآخر و خاصة في المبحث الأخير من الفصل الرابع لمعرفة

وجهاً النظر المتفق و المختلف عليها حول بحوث (أنواع) علوم القرآن ، و كان للآيات القرآنية نصيبها في عزوها إلى سورها ضمن المتن ، وذلك بوضعها ضمن مزدوجتين .

و قد واجهتني في كتابة الموضوع صعوبات عديدة شأني في ذلك شأن أي باحث ، تمكنت بفضل الله أولاً ثم بتوجيهات أستاذي المشرف الشيخ الأستاذ الدكتور طول محمد ثم بوقفات جادة و مخلصه لكل من الشيخين : الأستاذ الدكتور حسين رضوان النجار و الدكتور كريب رمضان من التغلب عليها و الحمد لله .

توقيع:

محمد المالك قسور

يوم: الأربعاء، 25 جمادى الأولى 1430 هـ

الموافق لـ: 20 مايو 2009 م

مدخل

• مدخل:

إن علوم القرآن من أشرف العلوم وأجلّها، وأفضلها على الإطلاق وأنفعها، لكون موضوعات كتاب الله و لكون غايتها الإعتصام بكلام الله، و لهذا الأمر اهتم الصحابة و التابعون، و من جاء بعدهم و سار على هديهم بهذا العلم، فأقبلوا على كتاب الله مفسرين ألفاظه موضحين معانيه كاشفين عن علومه و حقائقه كما عني العلماء المسلمون من بعدهم بالقرآن، قراءة و حفظا و دراسة و فهما و علما و عملا.

فكان القرآن كتاب حياة و وجود، اتبعوا أحكامه و نفذوا أوامره و أحلّوا حلاله و حرموا حرامه، فكانوا سادة الدنيا و أساتذة العالمين، ثم تحوّل القرآن إلى كتاب دراسة، فنشأت حول القرآن دراسات متعددة كان المقصود منها خدمة القرآن الكريم، فالتحوّل الذي يقوم اللسان و يعصمه من الخطأ أريد به خدمة النطق الصحيح للقرآن، و علوم البلاغة التي تبرز خصائص اللغة العربية و جمالها، أريد بها بيان نواحي الإعجاز في القرآن و الكشف عن أسراره الأدبية و تتبع مفردات اللغة و التماس شواردها و شواهدا و ضبط ألفاظها و تحديد معانيها، و صيانة ألفاظ القرآن و معانيه، و التجويد و القراءات لضبط أداء القرآن و حفظ لهجته و التفسير لبيان معانيه و الكشف عن مراميه.

و تبعاً لهذه الأنحاء المختلفة في نظر المسلمين إلى القرآن و اشتغالهم به، نرى التفاسير ذات الألوان المتعددة، فمنها ما يغلب عليه تطبيق القواعد النحوية و بيان إعراب الكلمات و بنائها، ومنها ما يغلب عليه بيان نواحي البلاغة و الإعجاز، و منها ما يهتم بالفقه و التشريع و بيان أسول الأحكام و هكذا.... إلى غير ذلك من أنواع الاهتمام التي أطلقوا عليها متأخراً مصطلح " علوم القرآن " .



• تعريف علوم القرآن:

التعريف الذي كان شائعاً عند العلماء لعلوم القرآن هو تلك العلوم الدينية المستنبطة من القرآن الكريم ، ثم جعلوه علماً على الفن المدون و أصبح مدلوله قبل النقل غير مدلوله بعد النقل ، ثم تغير مدلول علوم القرآن ليطلق فيما بعد على الباحث المتعلقة بالقرآن الكريم ، وجمعها تحت اسم فن واحد من ناحية : نزوله ، وجمعه ، و بلاغته ، و لغته ، و تفسيره ، و إعجازه ، و ناسخه و منسوخه و نحو ذلك و هذا التعريف هو مقصودنا في الدراسة.

• الاهتمام بعلوم القرآن جمعاً و تدويناً:

أثار القرآن منذ اللحظات الأولى لتدوينه حركة فكرية عند العرب و دعاهم إلى الإلتفات إليه ، لما جاء به من جديد في أساليب التعبير و البيان ، و علفت أفئدتهم بما جمع من كلام رائع ، فلم يسعهم إزاءه إلا التسليم بروعة أثره في النفوس و العقول.

و الرسول صلى الله عليه و سلم كان أول الحُفَاط و أجمعهم لكتاب الله تعالى ، و كانت همته أول الأمر إلى حفظ القرآن و جمعه في القلوب و الصدور إذ نرى أنه ليس في الوجود كتاب سماوي وصل إلى ذروة التوثيق العليا كالقرآن الكريم الذي كُتب على أصح أسلوب التدوين و على أدق قواعد الضبط متداولاً ليلاً و نهاراً على طول و عرض هذه الأمة الإسلامية .

ثم إن الكتابة لم تكن منتشرة في زمن الرسول صلى الله عليه و سلم ، و كانت أدوات الكتابة نادرة ، فالجزيرة العربية لم تعرف حينذاك الكتب و لا الكتابة ، و لم تكن الكتابة وسيلة للثقافة ، و لا مصدراً للمعرفة و لقد سجل القرآن على ما كان ميسوراً من أدوات الكتابة كالعَسْب (جريدة النخل) و اللخاف (الحجارة

الرقاق) و الأديم و الأكتاف (عظام الأكتاف) و الأقتاب (ما يوضع على ظهر الإبل). هذه السجلات المتنوعة

كانت أول صورة لجمع القرآن الكريم.¹

و الثابت أن القرآن لم يجمع على عهد النبي صلى الله عليه و سلم في مصحف واحد ، و ربما كان ذلك لأن

القرآن ظلَّ عشرين سنة أو يزيد يتزل منجمًا ، و لأن النسخ كان يردُّ على بعض الآيات . فلو جمع القرآن

وقتئذ ، ثم رُفعت تلاوة بعضه لأدى إلى الاختلاف و اختلاط الدين فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء النسخ.²

و قيل في هذا أن الله تعالى كان آمن الرسول صلى الله عليه و سلم من النسيان بقوله: « سَتَقْرُوكَ فَلَا

تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ »³ أي ما يشاء الله أن يرفع حكمه بالنسخ . فلما توفي النبي صلى الله عليه و سلم

أصبح النسيان ممكن الوقوع من الناس ، و من هذا أصبحت الحاجة ماسة إلى جمع القرآن.⁴

و يؤكد ابن السجزي هذا الأمر بقوله : " أن الإعتقاد في نقل القرآن على حفظ القلوب و الصدور ، لا

على خط المصاحف و الكتب ، أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة " .⁵

و استدللَّ ابن السجزي في كلامه بالحديث الصحيح الذي رواه مسلم أن النبي صلى الله عليه و سلم

قال : إن ربِّي قال لي : قم في قريش فأنذرهم ، أي ربَّ إذن يتلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة فقال : " إني مبتليكَ

و مبتل بك و ممزَّل عليك كتابا لا يغسله الماء ، تقرؤه نائمًا و يقضانا ... " .⁶

¹ — صبحي صالح . مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين ، طبعة 8 ، بيروت 1984 م . ص 37.

² — الزركشي بدر الدين . البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : يوسف عبد الرحمن المرعشي ، دار المعرفة ، بيروت ، طبعة 2 ، 1415 هـ ، 1994 م ، ج 1 ، ص 48.

³ — سورة الأعلى ، الآية 6 و 7.

⁴ — الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 54 .

⁵ — ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ، دار الفكر ، بيروت ، ص 43 .

⁶ — الزقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ج 1 ، ص 235 .

• جمع القرآن و تدوينه في عهد أبي بكر الصديق:

لقد انتهى نأ التتبع في تدوين القرآن أنه كُتب كله في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم ، إلا أنه كان مفرق الآيات و السور ، و أول من جمعه في مصحف مُرتب الآيات كما رُوِيَتْ محفوظة عن الرسول صلى الله عليه و سلم هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

وهذا ما يسوقه لنا السيوطي بقوله : "كتابة القرآن ليست بمحدثّة ، فإنه صلى الله عليه و سلم كان يأمر بكتابه ، ولكنه كان مفرقا في الرقاع و الأكتاف و العسب ، فأمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعا و كان ذلك بمزلة أوراق وُجدت في بيت الرسول صلى الله عليه و سلم فيها القرآن منتشرا ، فجمعها جامع و ربطها بخيط ، حتى لا يضيع منها شيء".¹

و يبدو أن تسمية القرآن " بالمصحف " نشأت على عهد أبي بكر ، فقد أخرج ابن شتة * في كتاب " المصاحف " من طريق موسى بن عقبة عن بن شهاب قال: " لما جمعوا القرآن فكتبوه على الورق قال أبو بكر : التمسوا له اسما ، فقال بعضهم " السفّر " قال : ذلك اسم تسميه اليهود ، فكروها ذلك ، و قال بعضهم " المصحف " فإن الحبشة يسمون مثله " المصحف " فاجتمع رأيهم على أن يسموه المصحف ".²

و ينتهي بنا الأمر إلى أن مصحف أبي بكر قد ظفر بإجماع الأمة عليه و تواتر ما فيه ، و أكثر العلماء أجمعوا على أن طريقة كتابته اشتملت على الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن ، فتشابه في هذه الناحية الأخيرة جمع القرآن الأول على عهد الرسول الأمين.³

¹ — السيوطي جلال الدين ، الإتيان في علوم القرآن ، تحقيق : أبي الفضل إبراهيم ، مكتبة المشهد الحسيني ، القاهرة ، مصر ، ج 1 ، ص 101.

* — ابن شتة: هو محمد بن عبد الله بن محمد بن أشته و يكنى أبا بكر ، نحوي محقق ، ثقة اشغل كثيرا بعلوم القرآن و كتابه (الخبر) يدل على سعة علمه ، توفسى سنة 360 هـ (ينظر غاية النهاية في طبقات القراء مجلد 2 ص 184) .

² — السيوطي ، الإتيان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 89 .

³ — صبحي صالح ، مباحث في علم القرآن ، ص 178 .

• جمع القرآن و تدوينه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

القرآن كتاب الله العزيز ، نزل على نبيه الأمين ، محمد صلى الله عليه و سلم . كتب الوحي في حياته ، ثم جمعه بعد ذلك أبو بكر و عمر ، ثم جمع - للمرة الثانية - في عهد عثمان بن عفان و بذلك اجتمع المسلمون على مصحف واحد انتشر بينهم و بذلك تحول الإهتمام إلى رواية هذا النص القرآني المكتوب.¹

و نحن في عرضنا لهذه المرحلة نشير إلى ما آلت إليه الظروف السياسية و الثقافية في عهد عثمان ، فقد امتدت الفتوحات الإسلامية و اتسعت رقعتها ، و انتشر الصحابة في أقطار الأرض و أمصارها ، و اختلط العرب بغيرهم من الأمة الإسلامية ، و أصبح كل بلد من العالم يتلقون القرآن الكريم عن من وفد إليهم من رهط رسول الله صلى الله عليه و سلم .

فاتفق أهل الكوفة على مصحف ابن مسعود و أهل البصرة على مصحف أبي موسى الأشعري ، و أهل الشام على مصحف أبي بن كعب و أهل دمشق على مصحف مُقداد بن الأسود و كان من بين هذه المصاحف خلاف في القراءة .

و أهم الاختلافات التي وقعت في القراءات نجملها فيما يلي :

- إما بألفاظ مختلفة في السَّمع لا في المعنى كقراءة « جذوة » مثلة الجيم.

- إما في السَّمع و المعنى كقراءة « يسيركم » و « ينشركم ».

- إما مخالفة للخط و غير مخالفة :

أ- بزيادة و نقص « وَ مَا خَلَقَ الذُّكْرَ وَ الْأُنثَى » بنقص لفظ « وَ مَا خَلَقَ ».

ب- اختلاف حركات و أبنية نحو « فيقتلون » مبنية للفاعل في إحدى الكلمتين « و يقتلون » مبنية

للمفعول في الكلمة الأخرى.

¹ - فؤاد سيزكين ، تاريخ التراث العربي ، المنية المصرية العامة للتأليف و النشر ، القاهرة 1971 م . مجلد 1 ، ج 1 ، ص 145 .

ج - اختلاف حروف في موضع أحرف أخرى مثل: « طَلَحَ مَنْضُودٌ » و « طَلَعِ مَنْضُودٌ ».¹

و تبعاً لذلك روى البخاري في صحيحه بسنده عن بن شهاب أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان و كان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية و أذربيجان من أهل العراق فأفرع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود و النصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، و قال عثمان للرهب القرشيين الثلاثة ، إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنه إنما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ، رد عثمان المصحف إلى حفصة و أرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا و أمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.²

و هكذا فإننا نجد فرقا بين جمع أبي بكر الصديق وبين جمع عثمان بن عفان لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سوره على ما وقفهم عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم و جمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات ، فأدّى ذلك إلى تخطئة بعضهم لبعض ، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك ، فسخ تلك الصحف في مصحف واحد ، مرتباً لسوره ، و اقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم ؛ إن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعا للحرج و المشقة في ابتداء الأمر فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت ، فاقصر على لغة واحدة.³

و لقد لقي عثمان بن عفان رضي الله عنه معارضة في أول الأمر لكن كثرة الصحابة تلقوا عمله بالقبول و الرضا و لم ينكر عليه أحد إحراقه المصاحف المخالفة للمصحف الإمام ، بل عدوا ذلك من مناقبه حتى قال علي رضي الله عنه : "لو وليت ما ولي عثمان لعملت بالمصاحف ما عمل".⁴

¹ - لبيب السعيد . الجمع الصوتي للقرآن الكريم أو المصحف المرتل ، دار الكتابة للطباعة و النشر ، القاهرة ، ص 53 - 54 .

² - الطبري بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي طبعة 3 ، ص 20 - 21 .

³ - السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 60 .

⁴ - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ج 1 ، ص 240 .

و قد جمعت أصول النسخ الرسمية الأربعة لجنة كونها عثمان من كل من : زيد بن ثابت و سعيد بن العاص و عبد الرحمن بن الحارث و عبد الله بن الزبير ، و لم يستطع أن يجلب بعض النسخ القديمة ، و على الأخص نسختي ابن مسعود و أبي بن كعب و قد أرسلت هذه النسخ الأربعة إلى مدن مختلفة.¹

و بالجملة فإن المصحف الإمام الذي نسخه عثمان قد لقي إجماعاً من المسلمين و لم نسمع لقيام أي مقاومة لعمل عثمان هذا في أي مجتمع من مجتمعات المسلمين ، بل على العكس من ذلك ، هدأت فتن كادت أن تتور و خلافات كادت تستعر ، و اجتمع ذلك التاريخ على مصحف واحد.²

ظهور مصطلح علوم القرآن:

إن علوم القرآن كانت مجموعة في صدور الميرزين من العلماء ، ففي تاريخ الشافعي رضي الله عنه حينما سأله أمير المؤمنين هارون الرشيد : " كيف علمك بكتاب الله عز و جل " ، فقال : " إن علوم القرآن كثيرة ، فهل تسألني عن محكمه و متشابهه ، أو عن تقديمه و تأخيره ، أو عن ناسخه و منسوخه ، أو عن وعن " و صار يسرد عليه من علوم القرآن ، و يجيب على كل سؤال مما أدهش الرشيد و الحاضرين.

ثم إن غالب هذه العلوم تعتمد على الرواية أصلاً ، تكون من المتقدم فيبلغها المتأخر ، و بذلك يجتمع في صدر المتأخر المبرز ما لا يجتمع لغيره ، و كان الشافعي واحداً من أولئك ، ليس هو من وضع علم أصول الفقه بقواعده و ضوابطه في تلك الفترة المتقدمة جداً.

إن الكتابة في جملة من علوم القرآن كانت متقدمة جداً و إن بعض تلك العلوم قد أفردت بمؤلفات مستقلة ، في كتاب " الفهرست " لابن النديم ، فمن العلوم التي عدها و ذكر التأليف فيها :

التفسير ، و معاني القرآن ، و مشكله ، و مجازه ، و ما أُلّف في غريب القرآن ، و لغات القرآن ، و القراءات ، و النقط ، و الشكل ، و ما كتب في لامات القرآن ، و في الوقف و الابتداء ، و ما دوّن عن

¹ — فؤاد سيزكين ، تاريخ التراث العربي ، ص 145 .

² — عبد السلام كفاي ، في علوم القرآن (دراسات و محاضرات) ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت 1971 م ، ص 46 .

اختلاف المصاحف ، و المتشابه ، و هجاء المصاحف ، و في مقطوع القرآن و موصوله ، و في أجزاء القرآن ، و فضائله ، و في عد آي القرآن ، و ناسخه و منسوخه ، نزوله و أحكامه و غيره.¹

إن محاولة ابن النديم السابقة توحى لنا أن هذه العلوم كانت معروفة عند المتقدمين ، و مجموعة في صدورهم ، فالأسماء التي ذكرها من المؤلفين أسماء متقدمة ، بل إن أرقام سنوات وفاة بعضهم متقدمة جدا ، فيحي بن يعمر المتوفى سنة (79 هـ) يؤلف كتابا في القراءات ، و يجمع فيه اختلاف المصاحف المشهورة ، و الحسن البصري المتوفى سنة (110 هـ) يكتب في نزول القرآن و في عد آي القرآن ، و قتادة السدوسي المتوفى سنة (117 هـ) يكتب في النسخ و المنسوخ ، و اليحصبي عبد الله بن عامر يكتب في المقطوع و الموصول و غيرهم.

فالشافعي هو أول من استعمل المصطلح و لا نستطيع أن نستبعد ذلك عن ابن المرزبان المتوفى سنة (309 هـ) بأي حال من الأحوال لقد حسم الخلاف حين أطلق على كتابه عنوان " الحاوي في علوم القرآن " و عليه يكون ابن المرزبان هو أول من استعمل هذا المصطلح عنوانا للكتاب ، ثم تبعه آخرون فأطلقوه على مؤلفاتهم أو جعلوه جزءا من عناوين مؤلفاتهم ، و ليس معنى هذا أن ابن المرزبان هو أول من صنف في علوم القرآن ، فالبحث و التأريخ لكل علم من علوم القرآن مستقلا ألزم و أكثر ضرورة ، و أجدى للقارئ من السير وراء هذه العلوم مجتمعة ، و لكونها أفردت بالتصنيف في مؤلفات خاصة ، و نال بعضها العناية و تابع القول في جميع العصور:

و لقد اشتهر بين أهل الإختصاص في القرآن و علومه أن إطلاق المتقدمين لمصطلح علوم القرآن يختلف عند المتأخرين ، فالسابقون أطلقوه على مصنفاتهم في التفسير ، كما فعل محمد بن المرزبان ، الذي سمى تفسيره " الحاوي في علوم القرآن " ، و أبو الحسن الأشعري الذي سمى تفسيره " المختزن في علوم القرآن " و محمد بن علي الأدفوي الذي سماه " الإستغناء في علوم القرآن " ، و علي بن إبراهيم الحوفي الذي سماه " البرهان في علوم

¹ - ابن النديم محمد ابن اسحاق، الفهرست ، مكتبة المعارف ، بيروت ، سنة 1976 م ، ص 31 و 32 .

القرآن " ، بخلاف المتأخرين الذين أطلقوه على تلك المصنفات التي حوت الأبحاث الكلية المتصلة بالقرآن الكريم في شتى جوانبه جلّها أو كلها ، كما فعل ابن الجوزي في كتابه " فنون الأفيان في عيون علوم القرآن " ، وكما فعل بدر الدين الزركشي في كتابه المسمى " البرهان في علوم القرآن " و كما فعل السيوطي و ابن عقيلة المكي وغيرهما .

و لعل المتقدمين جعلوا عبارة (علوم القرآن) جزءاً من العنوان الذي أطلقوه على تفاسيرهم ، و هي عبارة مقصودة بذاتها ، فقد أراد أولئك أن تشمل تفاسيرهم على بعض تلك العلوم ، و لم يكونوا يقصدون التفسير وحده بمعنى أنهم لم يعنوا بيان معان الألفاظ و الكلمات القرآنية و ما يستنبط من الآيات من أحكام فحسب ، و إنما قصدوا بيان كل ما يتعلق بالكلمة القرآنية و الآية و الجملة من الآيات و السور ، و الإهتمام ببيان كل ما يحيط بالوحي المنزل و بعض تلك التفاسير و التي وصل إلينا جزء منها ككتاب الأدفوي و الحوفي يؤكد لنا هذا الأمر ، أنهم عنوا به علوم القرآن و إن اختلف منهج العرض و طريقته ، فالحوفي مثلاً حين يعرض الآية و يتكلم عليها ، يتعرض للإعراب

و الوقف و التمام ، و القول في القراءة و في المعنى ، و التفسير ، و أسباب التزول ، و حول مكية السورة و الآية و الآيات و مدنيتهما ... إلى غير ذلك من مسائل علوم القرآن و موضوعاته .

و لهذا الأمر خلت التفاسير التي أراد مؤلفوها الإهتمام بالآثار و الروايات ، أو الإقتصار على بيان معاني الألفاظ فحسب دون التعرض لما يحيط بالآية و السورة من مسائل ، خلت عناوين تلك التفاسير من ذكر هذا المصطلح و رأى مؤلفوها الإقتصار على تسميتها (تفسير القرآن) منسوبا لهم و لهذا و جدنا (تفسير القرآن) لعبد الرازق الصنعاني و تفسير القرآن لابن أبي حاتم و غيرهما .

إذاً عبارة علوم القرآن كانت تطلق على تلك الدراسات التي خدمت كتاب الله و سهلت سبل فهمه و تيسيره على من لم يشاهد التزليل من صغار الصحابة و التابعين و من جاء بعدهم ، سواء وردت ضمن التفاسير أم جاءت مفردة مستقلة كتلك المؤلفات المتخصصة في موضوع واحد أو عدّة موضوعات .

لقد أطلق ابن النديم هذا المصطلح ليشمل جميع المؤلفات المتعلقة بالقرآن الكريم بما في ذلك التفسير ، و هو إطلاق موافق لمصطلح علوم القرآن عند من يعرفه بأنه مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله و ترتيبه و جمعه و كتابته و قراءته و تفسيره و نحو ذلك.¹

بيد أن المتأخرين لم يريدوا به ما أطلقه ابن النديم أو غيره ، و إنما قصدوا به الأبحاث الكلية و المتعلقة بالقرآن الكريم من جوانبه المتعددة ، سواء كانت متخصصة أم عامة ، و هو تعريف مستنبط من واقع.

¹ — الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 20 .

القسم الأول:

الأبعاد الثقافية و الدينية

الفصل الأول:

الأبعاد الدينية

المبحث الأول: رسم القرآن الكريم

المبحث الثاني: تقعيد اللغة العربية

المبحث الثالث: تفسير القرآن الكريم

• تمهيد:

إن نشأة علوم القرآن الكريم جاءت مواكبة لنزول الوحي ، و سابقة لنشأة العلوم الأخرى التي تعتبر إماماً أدوات تُعين على فهم كتاب الله تعالى أو تتعلق به أو تتفرع منه ، فالرسول صلى الله عليه و سلم حينما أنزل عليه الوحي بلغات العرب و على أساليبهم و بلاغتهم كان يعلمه لأصحابه فيأخذون القراءة و بذلك نشأ علم القرآن بظهور الأسباب و الدوافع الممهدة في إخراج علومه المتعددة قصد فهم القرآن و التدبر فيه كبعد ديني فبين صلى الله عليه و سلم موضع الآية أو الآيات في السور فيعرفون ترتيبها و كان بذلك علم بداية نشأة علم ترتيب السور و الآيات ، و يفسر ما استشكل عليهم من المعاني و الألفاظ الغريبة و يعلمهم الأحكام ، فكان ذلك بداية نشأة علم التفسير و علم غريب القرآن ، و يصف لهم كيفية نزول الآيات من الوحي ، و ملازمة الصحابة له (الرسول صلى الله عليه وسلم) مدة النزول جعلتهم يقفون على أسباب النزول و كان ذلك بداية نشأة أسباب النزول و على أي حال فقد اخترنا من هذه العلوم عند نشأتها مجموعة لا تقل أهمية عن سابقاتها و هي كالتالي:

- 1- رسم القرآن الكريم .
- 2- تقعيد اللغة العربية.
- 3- تفسير القرآن الكريم.

المبحث الأول:

رسم القرآن الكريم

● تمهيد:

الرسم القرآني أو ما يعرف بالرسم العثماني أو برسم الإمام هو الرسم الذي ثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم و المراد به كما يراه المؤلف عبد العزيز العيادي ، أي حروفه المرسومة و هي أوضاع حروف القرآن في المصحف و رسومه الخطية ، ففي المصحف حروف كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط ، فجاءت مخالفة لأوضاع الخط و قانونه.

فالرسم حين يطلق يراد به الصوامت دون سواها ، فلا الحركات رسم ، و لا النقط و لا الهمزات رسم ، و إنما هي آلات لضبط الأداء الذي أداه الرسول صلى الله عليه و سلم بأمر من ربه ، فسمعه عن الصحابة الذين نقلوه بأمانة إلى من خلفهم حتى وصل إلينا دون تحريف.¹

لقد كان رسم المصحف العثماني في بداية الأمر بدون نقط و لا شكل ، و كانت بعض الكلمات تسمح بقراءات متعددة ، التي كان الناس في الأمصار يميزون بينها بالسليقة ، فلا يحتاجون لقراءتها سليمة إلى الشكل بالحركات ، و لا الإعجام بالنقط . و قد ظل الناس - كما يقول أبو أحمد العسكري 382 هـ - يقرؤون القرآن في مصحف عثمان بضعا و أربيعين سنة حتى خلافة عبد الملك بن مروان ، وحينئذ كثرت التصحيفات و انتشرت في العراق.

و إنا لنجد من المقطوع به نقلا و عقلا : أن القرآن الكريم كتب جميعه بين يدي الرسول صلى الله عليه و سلم و أن الذين اتخذهم من الصحابة لكتابة القرآن حين نزوله كانوا على قدر رفيع من الثقة و العناية و الرعاية و الضبط و الإتقان و معرفة الكتابة العربية معرفة جيدة و أن ما أثبتوه من رسم النص القرآني بين يديه صلى الله عليه و سلم كان غاية من قبول الله تبارك و تعالى له.²

¹ - عبد العزيز العيادي العروسي ، الأنصاف القرآنية ، مطبعة طبل ، طنجة ، المغرب ، طبعة 3 سنة 2000 م ، ص 7 .

² - خالد عبد الرحمن ، تاريخ توثيق النص القرآني ، دار الفكر ، دمشق ، ص 81 .

فلو كان من هؤلاء و على رأسهم زيد بن ثابت خبط أو خلط أو عدم إتقان و ضبط لأخبر الله نبيه بذلك فاتخذ غيرهم ممن هو أجود و أحسن و أضبط ، أما و أنه لم يكن شيء من ذلك فإننا نقطع بأن القرآن الكريم قد كتب بين يدي رسوا الله صلى الله عليه و سلم على مراد الله سبحانه و تعالى و ذلك لأن الله عز وجل يأبى أن يكتب كلامه على حالة تتنافى مع قدسيته و جلاله.¹

و هذا هو الرأي السائد عند خالد عبد الرحمن مضيفا لما سبق أن القرآن كتابته أتت على وفق ما أقره الرسول عليه السلام ثم كان الإقرار العام التام من غير إكراه و لا إجبار من جميع الصحابة الذين لا يخافون في الله لومة لائم ، ثم انتهى الإقرار و امتد إلى التابعين ، فلم يخالف أحد منهم هذا الرسم و لم يرد أن أحدا منهم فكر في استبدال مرسومه بمرسوم آخر ، حتى في عهد ازدهار التدوين و التأليف ، فكان الجميع على احترامه و أتباعه و عدم إحداث أي تغيير فيه.²

و في بحثنا هذا ليس علينا أن نذهب بعيدا في إثبات البعد الديني و الحس المعرفي لدى خاصة المسلمين و عامتهم ، ففي هذه المرحلة و في خلافة عبد الملك بن مروان خاف بعض رجال الحكم أن يتطرق التحريف إلى النص القرآني إذ ظلت المصاحف غير مشكولة و لا منقوطة ففكروا بإحداث أشكال معينة تساعد على القراءة الصحيحة ، و في هذا المجال نذكر كل من عبيد الله بن زياد المتوفى (27 هـ) و الحجاج بن يوسف الثقفي المتوفى (95 هـ) فأما بن زياد فينسب إليه أنه أمر رجلا فارسي الأصل بإضافة الألف إلى ألفي كلمة حذفت منها فكان هذا الكتاب ينسخ كلمة (قالت) بدلا من (قلت) و كلمة (كانت) بدلا من (كنت) ، و أما الحجاج فيقال أنه أصلح الرسم القرآني في أحد عشر موضعا ، فكانت بعد إصلاحه أوضح للقراءة و أيسر على الفهم ، و إلى مثل هذه التحسينات الإملائية كان يشير عثمان رضي الله عنه بقوله - إن صح - : " أجد فيه ملاحن يستصلحها العرب " فالملاحن و التصحيفات - في هذا المقام - كلها

¹ - خالد عبد الرحمن ، تاريخ توثيق النص القرآني ، ص 82 .

² - المرجع نفسه ، ص 83 .

من هذا القبيل إنما تتعلق بطريقة الرسم التي لا بد أن يراها التغيير على اختلاف البيئات و العصور أما النص القرآني نفسه فلا يتغير فيه شيء لأنه مجموع من صدور العلماء بأخذه بعضهم عن بعض بالتلقي و المشافهة و طرق التواتر اليقيني¹.

• خصائص الرسم العثماني :

أولاً : اختصاصه بترتيب الآيات في مواضعها من السور ثم ترتيب السور في مواضعها من المصحف الشريف و أن ذلك توقيفي من الرسول صلى الله عليه و سلم عن جبريل عن رب العالمين سبحانه و تعالى ، و قد نص الحافظ السيوطي في الإتقان على أن أحاديث ترتيب آيات السور و ترتيب السور في المصحف متواترة عن الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم.²

ثانياً : اختصاصه بقواعد الرسم السبعة و هي الحذف و الزيادة و الهمزة و البدل و الوصل و الفصل و ما فيه قراءتان على إحداها ، و ذلك يقتضي وجوب أخذ القرآن و تلقي تلاوته عن طريق المشافهة و بذلك يتحقق اتصال السند من المقرئ المعلم إلى رسول الله عليه السلام إلى رب العالمين سبحانه و تعالى ، و لا يتحقق اتصال السند إلا عن طريق التلقي المباشر : قارئ عن قارئ إلى نهاية السند إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و من غير تلقي تلاوة القرآن مشافهة عن المقرئين ، يقع تالي القرآن في اللحن و الخطأ في تلاوته و ذلك حرام.³

ثالثاً : احتمال جميع وجوه القراءات المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى أصبح من شروط كون القراءة متواترة موافقتها للرسم العثماني ، و القراءة المخالفة له تعتبر من الشواذ كما هو مبين في القراءات المعتبرة.⁴

¹ - صبحي صالح ، مباحث في علوم القرآن ، ص 90 - 91 .

² - خالد عبد الرحمن ، تاريخ توثيق النص القرآني ، ص 89 .

³ - المرجع نفسه - بتصرف - ص 90 .

⁴ - المرجع نفسه ، ص 91 .

رابعاً: تضمنه أسرار التزييل الحكيم فمثلا قوله تعالى : « وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا كَمُوسِعُونَ »¹ بيّانين

و ذلك للإيماء إلى قدرة الخالق تبارك و تعالى التي بنى بها السماء ، و أنها لا تشبهها قوة و ذلك على حد

القاعدة المشهورة : " زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى " و قوله تعالى : « وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ

بِالْخَيْرِ »² و في قوله تعالى : « وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ »³ و في قوله تعالى : « يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ »⁴ و في قوله تعالى

أيضا : « سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ »⁵ ، فإنها رسمت في المصاحف العثمانية بغير واو و في ذلك سر دقيق لمن أمعن

النظر فيها.⁶

يمكن القول أن هناك أسرار في الحذف من خلال الآيات السابقة فسر الحذف في الأولى فللإشارة

إلى أن الإنسان يسارع إلى الدعاء بالشر كما يسارع إلى الخير ، بل إثبات الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه

من الخير و لاسيما عند الغضب، و أما السر في حذف الثانية فللإشارة إلى سرعة ذهاب الباطل و اضمحلاله ،

و أما سر الحذف في الثالثة فللإشارة إلى سرعة الدعاء و سرعة إجابة الداعين ، و أما سر الحذف في الرابعة

فللإشارة إلى سرعة الفعل و إجابة الزبانية.⁷

و هكذا جميع الأحرف التي وردت في الرسم العثماني زيادة على أصل الكلمة القرآنية فيها

من الأسرار ما يشير إلى لأن هذا الرسم إما توفيقى و إما تقرير عن رسول الله صلى الله عليه و سلم .

و من هنا يتجلى لنا أهمية الرسم العثماني الذي لم يتم دفعه واحدة ، بل ظل يتدرج في التحسن شيئا فشيئا.

يقول أبو بكر الباقلاّني في كتابه الانتصار: " و أما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئا ، إذ لم يأخذ

¹ — سورة الداريات الآية : 47 .

² — سورة الإسراء الآية : 11 .

³ — سورة الشورى الآية : 24 .

⁴ — سورة القمر الآية : 06 .

⁵ — سورة اقرأ الآية : 18 .

⁶ — خالد عبد الرحمن ، تاريخ توليق النص القرآني ، ص 92 .

⁷ — المرجع نفسه ، ص 93 - 94 .

على كتاب القرآن وخطاط المصاحف رسماً بعينه دون غيره أوجب عليهم وترك ما عداه ، إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع والتوفيق وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص وحد محدود لا يجوز تجاوزه ، ولا في نص ما يوجب ذلك ويدل عليه ، ولا في إجماع الأمة ما يوجب ذلك ولا دلت عليه القياسات الشرعية ، بل السنة دلت على جواز رسمه بأي وجه سهل ، لأن الرسول عليه السلام كان يأمر برسمه¹.

ويضيف أبو بكر الباقلي قائلًا : "فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين لهم وجهها معنا ، ولا نهى أحداً عن الكتابة ولذلك اختلفت خطوط المصاحف ، فمنهم من يكتب الكلمة على مخرج اللفظ ومنهم من كان يزيد وينقص لعلمه بأن ذلك اصطلاح وأن الناس لا يخفى عليهم الحال ، ولأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية والخط الأول ، وأن يجعل اللام على سورة الكاف وأن تعوج الألفات وأن يكتب بالخطوط والهجاء المحدثه و جاز أن يكتب بين ذلك"².

وإذا كانت خطوط المصاحف وكثير من حروفها مختلفة متغايرة الصورة ، وكان الناس قد أجازوا ذلك وأجازوا أن يكتب كل واحد منهم بما هو عادته ، وما هو أسهل وأشهر وأولى ، من غير تأنيب ولا تناكر علم أنه لم يؤخذ على الناس في ذلك حد محدود مخصوص كما أخذ عليهم في القراءة والآذان³.

ولو نظرنا إلى رسم المصحف بهذه الوجوه من الهجاء التي قد تختلف عما بين أيدينا من الخط فمرده إلى الخط الذي كتب به أول أمر وهو الخط النبطي ، وكانت له طريقته الخاصة في كتابته بعض الكلمات كالتاء مفتوحة ، وعدم ذكر حروف المد في بعض الكلمات ولا يمكن أن يتخذ الرسم دليلاً على أن بعض الكلمات التي وردت في النص القرآني ليست عربية الأصل مثل كلمة الصلوات وأنها عبرية⁴.

¹ — عبد السلام كفاي ، في علوم القرآن (دراسات ومحاضرات) ، ص 98 عن كتاب الانتصار للباقلاني .

² — المرجع نفسه ، ص 98 .

³ — المرجع نفسه ، ص 99 .

⁴ — السيد أحمد خليل ، دراسات في القرآن ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، سنة 1969 م ، ص 101 .

و من جهة النظر يرى المحقق يوسف المرعشلي في مقدمة البرهان أن رسم المصحف وما يتعلق من تنقيط وضبط يساعد على صحة القراءة فيبدو أنه بدأ منذ فترة مبكرة من عصر الصحابة و لعله سبق تقسيم القراءة إلى أعشار أو أخماس فقد ذكر الداني في المحكم ص 2 عن الأوزاعي بأن القرآن كان مجردا في المصحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الياء و التاء و قالوا لا بأس به هو نور له ، ثم أحدثوا فيه نقاطا عند منتهى الآي، ثم أحدثوا الفراغ و الخواتم ، و في رواية أخرى عن قتادة أنه قال واصفا الصحابة : " بدؤوا فنقطوا ثم حَسَّسوا ثم عَشَّروا " و علق الداني بهذه العبارة بأنها تدل على أن الصحابة و أكابر التابعين رضوان الله عليهم هم المبتدئون بالنقط و رسم الخموس و العشور ...¹

● لجنة المصحف :

ذكر البخاري أن لجنة المصحف عددهم أربعة:

1- زيد بن ثابت .

2- عبد الله بن الزبير .

3- سعيد بن العاص .

4- عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

و رئيس اللجنة وحده من الأنصار ، أما الثلاثة الباقون فهم من قريش و زاد غير البخاري عليهم ستة هم :

1- عبد الله بن عمرو بن العاص .

2- عبد الله بن العباس .

3- أبي بن كعب .

¹ - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ص 48 .

4- مالك بن أبي عامر (جد مالك بن أنس) .

5- كثير بن الأفلح .

6- أنس بن مالك .

يقول عبد الله شحاتة : فنحن لم نعرف من كتبة المصحف سوى عشرة ، أما الإثنان الباقيان فلم نعرف اسمهما ، و لم يطلع على اسميهما الحافظ بن حجر ، و هو المحقق البارع على اسم شخص ، فمن العسير العثور عليه ، ولذلك سنعتبر لجنة المصحف لجنة عشرية¹.

¹ — عبد الله شحاتة ، علوم القرآن و التفسير ، دار الاعتصام ، مطبعة جامعة القاهرة و الكتاب الجامعي سنة 1983 م ، ص 44 - 45 .

المبحث الثاني:

تقعيد اللغة العربية

• تمهيد:

القرآن الكريم هو النص العربي المعجز و هو المصدر لكثير من الدراسات اللغوية و الإسلامية إذ أن الإعراب كان كامنا في اللغة كمن الرّوح في الجسد ، أما كيف برزت الرّوح و تجسّدت في هذا العلم القائم بذاته المنضبط بهذه القواعد و الأصول ، فهو ما سنوجز القول فيه : اتفق الجميع على لأن ظهور اللّحن و خاصة في قراءة القرآن هو السبب في نشأة هذا العلم ، فانتشار اللّحن في قراءة القرآن هو الذي دعا ولاة أمر المسلمين إلى التفكير جيدا في وضع اللبنة الأولى في صرح هذا العلم.

فلما اتّسعت رقعة الإسلام و اختلط العرب بالعجم ، و تأخوا في الإسلام و تناسبوا و تصاهروا و تولد من هؤلاء الآباء و تلك الأمّهات أولاد أخذوا شيئا من لغة الأب و شيئا من لغو الأمّ ، و اتّسع الأمر على طول و عرض الأمة الإسلامية فضعت الفطرة العربية و دخل اللّحن في الكلام ، و حدثت حوادث نبتت المسلمين إلى القيام بحفظ القرآن الذي هو أصل الدين و منبع الحق المبين من أن يتطرّق إلى قارئه و تأليه شيء من اللّحن أو الخطأ.¹

و قد اتفق المؤرخون على أن العرب في عهودهم الأولى لم تعرف اصطلاحات التنقيط في كتاباتهم التي كان يكتبها كتابهم ، و حتى مجيء الإسلام فكان الصحابة رضي الله عنهم ينطقون بالقرآن الكريم و اللغة العربية بألفاظ مضبوطة المخارج ، دقيقة الحركات الإعرابية بحسب سليقتهم و فطرتهم العربية من غير لحن و لا غلط ، و ذلك لما كان متأصلا في نفوسهم من الفصاحة و البلاغة ، فلاستقامة ألسنتهم و سلامة نطقهم لم يكونوا بحاجة إلى معرفة القواعد الإعرابية ، و لهذا لما كتبت المصاحف في عهد النبوة كانت مجردة من الشكل و النقط، اعتمادا على هذه الأصالة و تلك السليقة.²

¹ - خالد عبد الرحمن ، تاريخ توليق النص القرآني ، ص 116 .

² - المرجع نفسه بتصريف ، ص 117 .

• دوافع ضبط حروف القرآن:

إنّ أبا الأسود الدؤليّ قد اشتهر بأنه سبق إلى وضع مسائل في العربية بأمر من علي بن أبي طالب رضي الله عنه و يبدو أن نقطه للقرآن الكريم لم يكن إلا امتدادا لما يظن من سبقه هذا، و يتناقلون قصة في هذا الموضوع توّمي إلى شدة غيخته على لغة القرآن فقد سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى: « إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ » فقرأها بجر اللام من كلمة (رسوله) فأفزع هذا اللحن أبا الأسود و قال: " عز وجه الله أن يبرأ من رسوله "، ثم ذهب إلى زياد والي البصرة و قال له: " قد أجبته لما سألت "، و كان زياد قد سأله أن يجعل للناس علامات يعرفون بها كتاب الله، فبتطاً في الجواب حتى راعه هذا الحادث.¹ و من هنا جد جده و انتهى به اجتهاده إلى أن جعل علامة الفتحة نقطة بين أجزاء الحرف، و جعل علامة السكون نقطتين.

و يرى بعض العلماء أن أبا الأسود إنما نقط القرآن بأمر عبد الملك بن مروان، و عسير علينا عن طريق هذه الروايات المختلفة البواعث التي حملت أبو الأسود على نقط القرآن، فلا نعرف هل اندفع من تلقاء نفسه أم استجاب لأمر لم يفكر فيه من قبل، و لا نعرف كنه العمل الذي قام به، و لكننا لا نرتاب قط في أنه قد اضطلع أول الجميع بعبء جسيم، فهذا هو الحد الأدنى مما نطقت به الأخبار و الروايات، أما أنه انفرد وحده بوضع أصول نقط القرآن و شكله فليس منطقياً و لا معقولاً. فما ينهض بمثل هذا فرد بل أفراد، و لا يبلغ تمامه جيل بل أجيال، و بحسب أبي الأسود أنه كان حلقة أولى في سلسلة نقط القرآن و تجويد رسمه.²

و روي عن أبي الأسود الدؤليّ أنه قال: « دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه رقعة فقلت: " ما هذا يا أمير المؤمنين؟ " فقال: " إني تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء يعني الأعاجم، فأردت أن أضع شيئاً يرجعون إليه و يعتمدون عليه "، ثم ألقى إلى الرقعة و فيها مكتوب: الكلام

1 - صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن، ص 92.

2 - المرجع نفسه، ص 93.

كله اسم و فعل و حرف ، فالإسم ما أنبأ عن المسمّى ، و الفعل ما أنبأ به ، و الحرف ما أفاد معنىً و قال لي : "أنحُ هذا النحو و أضف إليه ما وقع إليك"¹.

فمن الضروري أن يفكر أمير المؤمنين رضي الله عنه ، و هو يعلم حق العلم أن فهم القرآن و استنباط الأحكام منه و من السنة المشرفة متوقف تماماً على سلامة هذه اللغة ، و المحافظة عليها من الانحراف عن لغة القرآن أن يفكر في إيجاد أقرب وسيلة لحفظ اللغة.²

فالواقع التاريخي لتلك الفترة ، يؤكد فعلاً أن ملكة اللغة في أبناء اللغة العربية قد أخذت تضعف بانتشار العرب في الأقطار التي فتحوها و لم تكن العربية لسانها ، و معلوم في علم اللغة أن اللغات متى تجاوزت أو احتك بعضها ببعض أثر كل منها في الأخرى.³

إذن فاللغة العربية ليست بدعا من هذه اللغات ، فلولا الوسائل القويّة و الحصون المنيعة التي شيّدت للمحافظة عليها ، بسبب القرآن ، لما وصلت كما هي عليه الآن .

و يرى الدكتور أحمد خليل أن القرآن يمثل مرحلة جديدة في مراحل هذه اللغة غير أن بهذا التحوّل في بعض هذه المواقف اللغوية لم يكن يراد منه سوى اللّفت إلى خطر القضية المعروضة بهذا الأسلوب بغية التأمل فيها و النظر في أعماقها و التحوّل التعبيري بطبيعته بلفت الأذن، و يدعو إلى التنبيه و يثير في النفس أسباب التقيظ، نلاحظ ذلك حتى في استعمال الأساليب العالية في دنيا الناس التي يقصد بها هذه الأنواع المختلفة من الإثارة.⁴

إنّ الدافع الحقيقي الذي أدّى بالأسود الدؤلي إلى وضع قواعد النحو و الإعراب هو أن كل اللحن التي ظهرت على ألسنة بعض القراء تختص بضبط آخر الحرف من الكلمة و هو الإعراب ، و لا تختص مثلا ببنية الكلمة أو تصريحها أو وضعها بالنسبة لباقي الجملة أو تعريفها أو تنكيرها ، لا ، بل هي تختص بشيء

¹ — ابن الأنباري ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ، جمعية إحياء آثار العرب ، مجلد 1 ، ص 14 — 15

² — عبد الجليل عبد الرحمن ، لغة القرآن الكريم ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، ص 244 .

³ — ابن الأنباري ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، مجلد 1 ، ص 28 .

⁴ — السيد أحمد خليل ، دراسات في القرآن ، ص 48 .

واحد و هو الإعراب ، ومعظم الروايات تختتم بعبارة ، فوضع أبو الأسود علم النحو ، أو فوضع أبو الأسود العربية ، أو فوضع أبو الأسود كتابا، فهذه الظاهرة إذن هي التي دفعت أبو الأسود الدؤلي إلى أن يضع علم النحو و يكون استنتاجنا أن الإعراب سبب نشأة النحو صحيحا.

• الرموز و المصطلحات:

في البداية ذهب أبو الأسود إلى إعراب القرآن أي وضع الحركات الإعرابية على الحروف ثم عرج من ذلك إلى وضع المختصر في النحو المنسوب إليه كما تدل هذه الرواية فإنه قد اختار رجلا من عبد القيس فقال له : "خذ المصحف و صبغا يخالف المداد ، فإذا فتحت شفتي فأنقط واحدة فوق الحرف ، و إذا ضممتها ، فأجعل النقطة إلى جانب الحرف ، و إذا كسرتها فأجعل النقطة في أسفله ، فإن انبعث شيء من هذه الحركات غنة فأنقط نقطتين" ، فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره ، ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك.¹

و لهذا السبب كانت هذه النقط هي أول رمز للحركات الإعرابية ، وقد أخذها الناس حينئذ و استعملوها في كتابتهم و كانوا يضعون للدلالة على فتحة الحرف نقطة فوقه و على كسرتة نقطة من أسفله و على ضمته نقطة عن شماله ، و الحرف الساكن لا يضعون عليه شيئا ، و إذا كان الحرف متونا وضعوا مكان النقطة نقطتين.²

و خلصنا من هذا أن اختبار مصطلحات النحو و الإعراب كان لسبب صوتي ، إذ يرى التهالوتي أن الضمة هي عبارة عن تحريك الشفتين بالضم عند النطق. فيحدث من ذلك صوت خفي مقارن للحرف ، إن امتد كان واوا و إن قصر كان ضمة ، و الفتحة عبارة عن فتح الشفتين عند النطق بالحروف و حدوث الصوت الخفي الذي يسمى فتحة و كذا القول في الكسرة و السكون عبارة عن خلو العضو عن الحركات عند النطق

¹ — ابن الانباري ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، مجلد 1 ، ص 28 .

² — عبد العال سالم ، القرآن الكريم و أثره في الدراسات النحوية ، دار المعارف ، القاهرة ، سنة 1998 م ، ص 34 .

بالحروف ، و لا يحدث بغير الحرف صوت فيجزم عند ذلك أن ينقطع فذلك يسمى جزماً اعتباراً بالمجزم الصوت وهو انقطاعه و سكونه اعتباراً بالعضو الساكن.¹

و يواصل التهانوي قوله : " فقولهم ضم و فتح و كسر هو صفة العضو و إذا سميت ذلك رفعا و نصبا و جراً فهو من صفة الصوت و عبّروا عن هذه بحركات الإعراب لأنه لا يكون إلا بسبب و هو العامل ، كما أن هذه الصفات إنما تكون بسبب حركة العضو ، و عبّروا عن أحوال البناء بالضمّة و الفتحة و الكسرة و السكون".²

و تتجلى عبقرية أبي الأسود في وصفه للشفتين أثناء النطق بالحركات و أيضا في عدم ذكره السكون عندما تناول الحركات ، أما ملاحظتنا الخاصة بالنقط التي استعملها أبو الأسود كرموز للحركات الإعرابية قد وجدت قبل في اللغة السريانية فانتشار اللحن بين الناطقين السريانيين و الخوف من أن يمتد هذا اللحن إلى نصوص الكتاب المقدس ، و كان من نتاج هذه الأزمة عند السريان أن وضعوا ضوابط لشكل كتابهم المقدس.

هذه الضوابط هي النقط التي استعملها أبو الأسود في ما بعد لشكل القرآن الكريم ، من هذا نرى أن المقدمات متشابهة و النتائج متشابهة ، وكلا العملين قد حدث في بيئة واحدة ، و اتصال أبي الأسود بالسريان أمر مثبت تاريخياً ، فقد كان والياً إدارياً في بيئة العراق ، تلك البيئة التي كانت تموج بالمعارف السريانية و بالعلماء السريان ، و رجل كأبي الأسود مهتم بالدراسات اللغوية لا بد أن يكون قد اتصل بهم و أخذ منهم إما عن طريق الترجمة أو أن يكون له بعض الإمام باللغة السريانية حتى يتسنى له هذا الأخذ.³

و تبقى هذه النقط التي اقتبسها أبو الأسود عن السريان مستعملة عند العرب كرمز لإعراب الكلمات حتى هجروها و استعملوا مكانها الرموز التي وصلت إلينا عنهم و التي مازلنا نستعملها حتى الآن.

¹ — التهانوي محمد علي ، كشف اصطلاحات الفنون ، ككلتا ، سنة 1992 م ، ج 2 ، ص 794 .

² — المصدر نفسه ، ص 795 .

³ — عباس حسن ، اللغة و النحو بين القديم و الحديث ، دار المعارف ، القاهرة ، سنة 1966 ، ص 249 .

و يتضح لنا سبب وضع الرموز الجديدة لحركات الإعراب و هجر النقط مما ذكره الرواة عن الحجاج بن يوسف الثقفي أثناء ولايته على العراق (74 هـ - 95 هـ) إذ أمر نصر بن عامر أو يحيى بن يعمر بإعجام حروف المصحف للتمييز للحروف المتشابهة بعضها من بعض.¹

و في هذا المقام هناك مسألة يجب التحدث عنها و هي أن الرواة ينسبون إلى أبي الأسود أنه وضع أبوابا من النحو و تكلم في مسائل العلل و القياس و العوامل ، و في ذلك يقول ابن سلام الجُمَحِي: " كان أول من أسس العربية و فتح بابها و أنهج سبيلها و وضع قياسها أبو الأسود الدؤلي..... و وضع باب الفاعل و المفعول و المضاف و حروف الجر و الرفع و النصب و الجزم".²

و يقول أبو بكر محمد بن حسن الزُبَيْدِي : " أول من أصل النحو و أعمل فكره فيه أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي و نصر بن عاصم و عبد الرحمن بن هُرْمُز، فوضعوا للنحو أبوابا و أصلوا له أصولا فذكروا عوامل الرفع و النصب و الجزم و وضعوا باب الفاعل و المفعول و التعجب و المضاف".³

و نحن في عرضنا لهذه الروايات نرى أن النحو قد نشأ بسيطا متواضعا فكيف يمكن أن يكون كذلك و يجيب على هذا التساؤل الدكتور عباس حسن بقوله: " و كل ما ذكره الرواة ذلك يناهض طبائع الأشياء و وقائع الأمور ، فللنحو شأنه في ذلك شأن أي علم آخر ، نشأ بسيطا ساذجا يتناول أطرافا من المسائل النحوية المنفرقة التي لا يجمعها باب واحد".⁴

¹ — شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، دار المعارف ، القاهرة ، سنة 1987 م ، ص 17 .

² — ابن سلام الجُمَحِي ، مقدمة ، طبقات فحول الشعراء ، دار المعارف ، مصر ، سنة 1952 م ، ص 12 .

³ — الزبيدي محمد بن الحسن ، طبقات النحويين و اللغويين ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، سنة 1954 م ، ص 6 .

⁴ — عباس حسن ، اللغة و النحو بين القديم و الحديث ، ص 237 .

و الناتج عن هذا كله أن علاقة القرآن الكريم بالنحو علاقة وثيقة متينة تتضح في كثير من المظاهر ، فلقد كان معظم القراء من النحاة و كان كل منهم يقعد لقراءته و كانت نقط القرآن _ على يد أبي الأسود _ إعرابا ، و ليس ببعيد عنا الكتب التي ألفت خاصة في إعراب القرآن ، بل إن اللحن في قراءة القرآن هو الذي دعا إلى نشأة النحو و عند كل النحاة تقريبا ، و كل كتب التفسير تتعرض للإعراب في الكلمات و الجمل حيث إنه مرتبط بالمعنى ، هذا إلى أن العلوم بعامة يتصل بعضها ببعض و يأخذ بعضها ببعض .

المبحث الثالث:

تفسير القرآن الكريم

• تمهيد:

أثار القرآن الكريم منذ اللحظات الأولى لتزوله حركة فكرية عند العرب ، و دعاهم إلى الإلتفات إليه ، لما جاءهم به من جديد في أساليب التعبير ، و البيان ، و علققت أفئدتهم و أسماعهم بما جمع من كلام رائع ، فلم يسعهم إزاءه إلا التسليم بروعة أثره في النفوس و في العقول ، و اعترف بلغاؤهم و أولوا الفطن منهم بذلك الأثر ، و تحيروا فيه ، فمن قائل أنه سحر ، و من قائل أن شعر و من قائل أنه أساطير الأولين ، أو سجع الكهان.¹

و في القرآن إشارات لم يتح لكثير من العرب أن يفهموها و من هنا دعت الحاجة إلى فهمها و بيان مراميها إلى التفسير و قد بدأ أول أمره جزءا من الحديث و هو التفسير المروي عن صاحب الرسالة صلى الله عليه و سلم و من هنا نرى في الموطأ و البخاري و مسلم يروون عن الرسول صلى الله عليه و سلم تفسير لبعض آيات القرآن الكريم ثم أخذ التفسير ينفصل عن الحديث و يصبح علما مستقلا له أصوله و قواعده .

و يؤكد هذه الحقيقة من المعاهدين الدكتور مساعد آل جعفر في كتابه (أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي) فقد ذكر أن نشأة التفسير كانت مستقلة عن الحديث و أن التفسير هو أول العلوم الإسلامية ظهورا، نشأ قبل الحديث خلافا لمن يرى ظهور الحديث قبل التفسير و اعتبار التفسير بابا من أبواب الحديث، و ذكر من الأدلة المؤيدة لهذه الحقيقة أن أول الرسالة قرآن وليس حديثا، و أن جبريل حين نادى رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال له: "اقرأ" فقال: "ما أنا بقارئ"، كان للرسول صلى الله عليه و سلم تفسير لكلام جبريل مختلف عن مدلول النص، و لذا فإنه أعادها عليه ثلاث مرات إلى أن أدخل في روعه أنه لا يريد من منه القراءة التي هي خلاف الأمية، و إنما يريد الله أن يعلمه بالرسالة.

¹ — محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، مكتبة الشباب ، ط 1 ، سنة 1982 م ، ص 29 .

فقال له بعد المرة الثالثة: « أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ »¹ ففسر له « أَقْرَأْ » كما أرادها الله لا كما فهمها الرسول صلى الله عليه و سلم.²

• تفسير الرسول صلى الله عليه و سلم:

لقد قام الرسول صلى الله عليه و سلم ، و هو المبلغ لرسالة ربه بتوضيح كل ما يلزم توضيحه من الرسالة التي بعث بها تنفيذاً لأمر ربه الذي طلب منه ذلك ، بقوله: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ».³ و قوله جل شأنه: «وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ».⁴ و لم ينتقل رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الملاء الأعلى حتى بلغ الرسالة ، و أدى الأمانة و تركها على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك فين لهم كل ما يلزمهم في دينهم و دنياهم ، مما انطوت عليه تعاليم هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه و لا من خلفه و فسّر لهم كل ما سألوه عنه و أشكل عليهم فهمه .

و كان الصحابة رضوان الله عليهم ، إذا أشكل عليهم معنى من معاني القرآن لجأوا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فيوضحه لهم ، و قد اختلف العلماء في المقدار الذي بينه لهم عليه الصلاة و السلام من القرآن فمنهم من ذهب إلى أنه بين لأصحابه كل معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه و منهم من ذهب إلى أنه لم يبين لأصحابه من معاني القرآن إلا القليل و قد استدل كل فريق لرأيه بعدد من الأدلة.⁵

و هكذا بدأت مدرسة الرسول صلى الله عليه و سلم ترسم خطاه في التفسير ، و تحفظ عنه و ترويه ، و قد تنزید فيه بجذر ، في شرح لفظ الغريب ، أو بيان حكمة أو موعظة فيه و نشأت طبقة القراء في صدر الإسلام ،

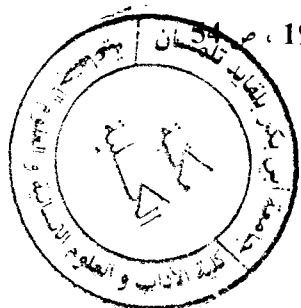
¹ — سورة العلق ، الآية 1 .

² — مساعدة مسلم آل جعفر ، أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، سنة 1984 ، ص 174 .

³ — سورة النحل الآية 44 .

⁴ — سورة النحل الآية 64 .

⁵ — السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 174 .



تحفظ القرآن و تلم ببعض التفسير على النحو السابق ، و يبعث بها الرسول صلى الله عليه و سلم إلى القبائل يعلمونهم القرآن ، و يفقهونهم في معانيه.¹

و كان التفسير و المدارس في هذا الوقت منصباً على الجانب الديني بطبيعة الحال . و من هذه المدرسة الأولى جماعة الصحابة ، و كانوا أعلم الناس بما جاء في القرآن الكريم لملازمتهم النبي صلى الله عليه و سلم و أخذهم عنه و لأن لهجته هي لهجتهم ، فلم يكن فيه ما يصعب عليهم فهمه بوجه عام ، غير أنهم لم يتصدوا للتفسير تخرجاً أو لعدم حاجتهم في ذلك الوقت إلى ذلك ، و الوحي قريب العهد إليهم ، و معاني الذكر لازالت ماثلة في أذهانهم.² و لعل الروعة الدينية لهذا العهد ، و المستوى العقلي لأهله ، و وضوح حاجات حياتهم العملية ، و تطبيق الرسول صلى الله عليه و سلم للقرآن تطبيقاً عملياً في حياته ، حتى قالت عائشة رضي الله عنها : " كان خلقه القرآن " . كل هذا جعل حاجتهم إلى التفسير غير كبيرة خصوصاً أنهم كانوا يعيشون في معاني القرآن ، و يتسابقون إلى العمل بآياته قبل أن يحفظوا الجديد منها ، إلى جوار بيان الرسول صلى الله عليه و سلم لمجمل القرآن ، و توضيحه لمشكله ، و تخصيصه لعامه و تقييده لمطلقه ، فمن ذلك بيانه لمواقيت الصلوات الخمس و عدد ركعاتها و كيفيتها و بيانه لمقادير الزكاة و أوقاتها و أنواعها ، و بيانه لمناسك الحج.³

و هنا يمكن النظر على أن اعتماد الرسول صلى الله عليه و سلم في تفسير القرآن و توضيح مراد الله تعالى من كلامه ، إنما كان على الوحي ، و ما يلقيه الله في قلبه من فهم ، و ما خصه به من علم و معرفة ، فقد تكفل الله له بتفسير القرآن و بيان مراده من كلامه ، كما تكفل له بحفظه و جمعه له في صدره فقال الله عزّ

¹ — محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص 30 .

² — المرجع نفسه ، ص 30 .

³ — عبد الله شحاتة ، علوم القرآن و التفسير ص 347 .

وجل: «لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۚ ثُمَّ إِنَّ

عَلَيْنَا بَيَّانُهُ»¹.

• تفسير الصحابة و التابعين رضي الله عنهم :

لقد نشأ التفسير مبكراً في عصر النبي صلى الله عليه و سلم الذي كان أول شارح لكتاب الله ، أما صحابته الكرام فما كانوا يجرؤون على تفسير القرآن و هو عليه السلام بين أظهرهم ، يتحمل هذا العبء العظيم و يؤديه حق الأداء حتى إذا لحق بالرفيق الأعلى لم يكن بد للصحابة - العلماء بكتاب الله ، الواقفين على أسراره المهتدين بهدي نبهم عليه الصلاة و السلام - من أن يقوموا بقسطهم في بيان ما علموه و توضيح ما فهموه و المفسرون من الصحابة كثيرون ، إلا أن مشاهيرهم عشرة : الخلفاء الأربعة ، عبد الله ابن مسعود ، أبي بن كعب ، زيد بن ثابت ، أبو موسى الأشعري و عبد الله بن الزبير ، أما الخلفاء فأكثر ما روي عنه منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه و الرواية عن الثلاثة نزره جدا و كأن السبب في ذلك تقدم وفاقهم.²

فلما انقضى عصر الصحابة أو كاد ينقضي و صار الأمر إلى تابعيهم ، انتشر الإسلام و اتسعت الأمصار و تفرق الصحابة في الأمصار فأخذوا في تدوين الحديث و الفقه و علوم القرآن.³

فأول ما دونوه من العلوم التفسير ، و من أقدم التفاسير تفسير أبي العالفة رفيع بن مهزبان الرياحي المتوفى (سنة 90 هـ) و مجاهد بن جبر المتوفى (سنة 101 هـ) ثم تفسير بن أبي رباح المتوفى (سنة 114 هـ) و تفسير بن كعب القرظي المتوفى (سنة 117 هـ).⁴

¹ - سورة القيامة الآيات : 16 - 17 - 18 - 19 .

² - صبحي صالح ، مباحث في علوم القرآن ، ص 289 .

³ - حاجي خليفة ، كشف الظنون ، عن أسامي الكتب و الفنون ، دار الفكر ، بيروت ، سنة 1981 م ، ج 1 ، ص 23 .

⁴ - المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 427 .

قال بن تيمية: " أعلم الناس بالتفسير أهل مكة ، لأنهم أصحاب بن عباس كمجاهد و عطاء بن أبي رباح و عكرمة مولى بن عباس ، وسعيد بن جبير و طاووس و غيرهم ، وكذلك في الكوفة أصحاب بن مسعود و علماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد و مالك بن أنس" ¹.
من خلال هذا النص نفهم أن هذه المرحلة تميزت بظهور ثلاث مدارس في التفسير:

1- مدرسة مكة: أصحابها تلاميذ بن عباس رضي الله عنهم و منهم :

- أبو الحاج مجاهد بن جبر المكي المتوفى سنة 101 هـ.

- عكرمة مولى بن عباس المتوفى سنة 105 هـ.

- طاووس بن كيسان اليماني المتوفى بمكة سنة 106 هـ.

- عطاء بن أبي رباح المكي المتوفى سنة 114 هـ.

2- مدرسة العراق: أصحابها تلاميذ بن مسعود و منهم :

- مسروق بن الأجدع الكوفي المتوفى سنة 85 هـ.

- علقمة بن قيس المتوفى سنة 102 هـ.

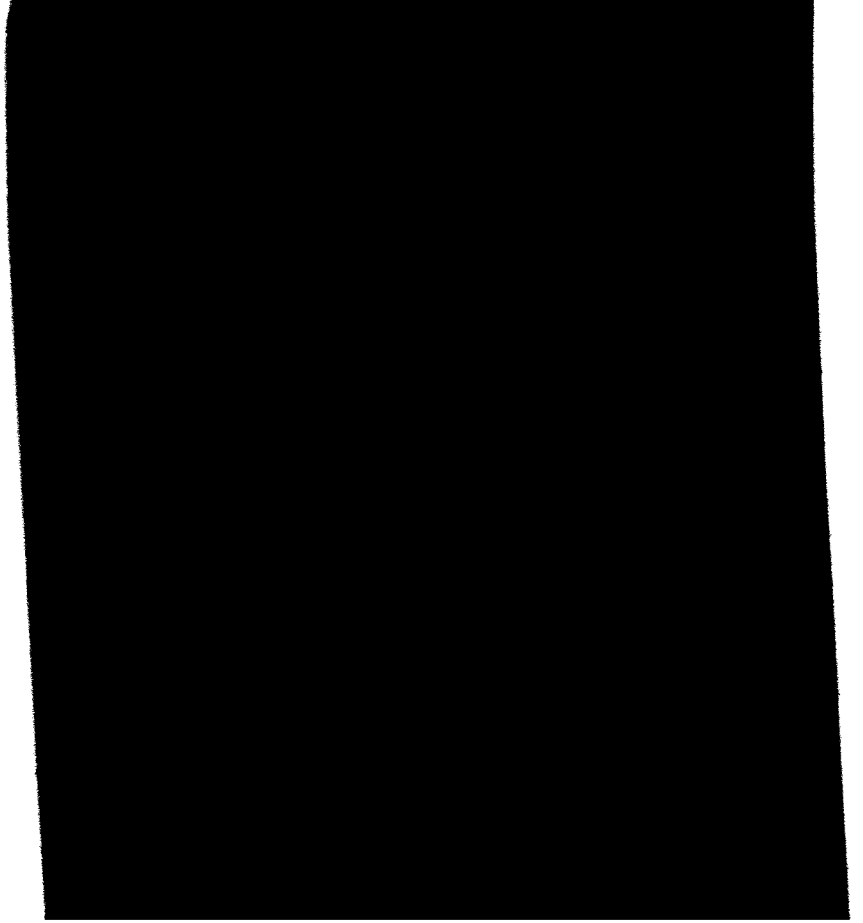
- عامر الشعبي المتوفى سنة 105 هـ.

- قتادة بن دعامة السدوسي البصري المتوفى سنة 117 هـ.

- الحسن البصري المتوفى سنة 121 هـ.

¹ - السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 323 .

- اسحاق بن ربيعة التوري سنة 237 هـ .
 - عبد الرزاق بن همام الصنعاني شيخ الامام البخاري ، التوري سنة 211 هـ .
 - روح بن عباد القيسي التوري سنة 207 هـ .
 - يزيد بن هارون التوري سنة 206 هـ .
 - سفيان بن عيينة التوري سنة 198 هـ .
 - وكيع بن الجراح التوري سنة 197 هـ .
 - سفيان بن سعيد التوري سنة 161 هـ .
 - شعيب بن الجراح التوري سنة 160 هـ .
 - مقاتل بن سليمان التوري سنة 150 هـ .
- لهم: كتبهم اجمع اللهم من الكتب السابقة و المشهور من كتبهم:
- ، الكافي و المعار و الكتب التفسير في التفسير علم التوراة فخره يدون بالقرآن و عن صحابه و عن سلم و غيره
- الله صلى الله عليه و آله من التفسير عن رسول الله صلى الله عليه و آله في عهد تابعي التابعين فقد اخرجتهم همهم الى جمع ما اخرج الى التفسير في عهد تابعي التابعين
- محمد بن عمرو التوري سنة 118 هـ .
 - ابو العلاء ربيع بن مهران التوري سنة 90 هـ .
-
- لهم: و منهم 136 هـ التوري سنة 136 هـ و منهم 3- مدرسة المدينة: و راجع تلاميذ ابي بن كعب و اصحاب زيد بن اسلم التوري سنة 136 هـ و منهم 3-
-
- التفسير الاول: الامام القاسمي و التفسير الثاني: الامام القاسمي و التفسير الثالث: الامام القاسمي



• أشهر المفسرين:

– تفسير عبد الله بن مسعود المتوفى سنة 32 هـ :

هو عبد الله بن مسعود بن غافل و يكتى بعد الرحمن الهذلي ، و لقد عاش مرافقا لرسول الله صلى الله عليه و سلم حتى أصبح أشبه الناس هديا و سَمْتاً برسول الله عليه الصلاة و السلام ، و تعلم القرآن و السنة ، و أقبل عليها درسا و فقها و تعلما و تعليما ، فلما ذهب إلى الكوفة تفجر ينابيع العلم من قبله على لسانه ، و أرسى دعائم مدرسية في الفقه و التفسير و الرأي و التوحيد تلقاها عن رجال أخيار و ورثها عنهم أئمة أعلام.¹

و قد حمل علم بن مسعود في التفسير أهل الكوفة نظرا لوجوده بينهم يجلس إليهم فيأخذون عنه و يروون له فمن رواته مسروق بن الأجدع الهمداني و علقمة بن قيس النخعي و الأسود بن يزيد و غيرهم من علماء الكوفة .

عن مسروق قال قال عبد الله بن مسعود : " و الذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا و أنا أعلم فيم نزلت ، و أين نزلت ، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته " . و عبد الله بن مسعود المتواضع الفقيه لا يقول ذلك إلا بيانا لحقيقة ثابتة هي علمه بالقرآن و أحكامه و حلاله و حرامه و ناسخه و منسوخة و تفسيره و تأويله بل هو الحريص على متابعة هذا العلم و الاستزادة منه مهما كان السبيل إليه شاقا و عسيرا.²

¹ – عبد الله شحاتة ، علوم القرآن و التفسير ، ص 384 .

² – المرجع نفسه ، ص 389 .

– تفسير عبد الله بن عباس المتوفى سنة 68 هـ :

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هشام بن مناف القرشي الهاشمي ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه و سلم بلغ من العلم مبلغا عظيما و ساعده على ذلك حرصه على مجالسة العلماء و الانتقال إليهم و تحمّل المشقة في طلب العلم. و التواضع لهم ، و بهذه الثقافة اللغوية استطاع أن يعرض اللفظ الغريب في القرآن كله بالشرح و التفسير ، فقد كان بن عباس حبر الأمة و ترجمانها ببركة دعاء الرسول صلى الله عليه و سلم حيث قال : " اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل "

إذن فابن عباس جمع الله له أسباب التفوق و النبوغ في التفسير ، فقد أحاط بالمعرفة و بعلوم القرآن و أسباب نزوله و فهم غريبه ، و معرفة ناسخه و منسوخه ، و مكّيه و مدنيّه ، و إلى جوار ذلك حباه الله بقريجة و قادة و عقل راجح و رأي صائب و كان منهجه في التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن ، أو تفسير القرآن بالسنة ، أو تفسير القرآن بأقوال الصحابة ، فإن لم يجد فمّن كلام العرب و منه الشعر و مثلنا على ذلك حينما سأله نافع بن الأزرق: " ما معنى (إِيَابُهُمْ) في قوله تعالى: «إِنَّا إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ» " .¹

قال: " الإياب: المرجع " ، قال عبيد الأبرص:

و كُلِّ ذِي غِيْبَةٍ يُؤُوبُ وَغَائِبَ الْمَوْتِ لَا يُؤُوبُ²

و قد بدأت محاولات بن عباس في التفسير مدرسة جديدة تكشف عن أسلوب القرآن و معانيه مقارن بالأدب العربي شعره و نثره ، و بذلك مهدّ لكثير من العلماء اللغويين من بعد لكي يفهموا أسلوب القرآن فيشرحون غريبه بالشعر و المثل و الكلام الفصيح ، و مهد لقيام حركة واسعة لجمع اللغة و الشعر من مضارب الخيام و بوادي العرب.³

¹ – سورة الغاشية ، الآية 25 .

² – عبد الله شحاتة ، علوم القرآن و التفسير ، ص 386 .

³ - محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص 32 – 33 .

و في ختام هذا المبحث نذكر خلاصة موجزة له في النقاط التالية:

1- بدأ التفسير بتوضيح الرسول صلى الله عليه و سلم لبعض الآيات و بذلك يعتبر عليه الصلاة و السلام

أول مفسر للقرآن.

2- اتسع نطاق التفسير بعد عهد النبوة ، لحاجة الناس إلى التفسير أولا و بعدهم عن ملابسات التزول ثانيا.

3- لم يكن التفسير لذات التفسير ، بل نشأ التفسير إجابة عما غمض و توضيحا لما أشكل و تفسيراً لما أجهل.

ملخص هذا الفصل أن علوم القرآن ظلت تروى بالتلقين و المشافهة على عهد الرسول صلى الله عليه و سلم ، ثم على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، و في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه بدأ اختلاط العرب بالأعاجم و أمر عثمان أن يجمعوا على مصحف إمام و أن تنسخ منه مصاحف للأمصار و قد وضع أساسا بما يعرف بالرسم العثماني.

و قد اشتهر أن عليا رضي الله عنه أمر أبا الأسود الدؤلي بوضع بعض القواعد للمحافظة على سلامة اللغة العربية فكان واضع الأساس لعلم إعراب القرآن. و في وسعنا أن نقول إن الممهدين لعلوم القرآن هم :
- من الصحابة : الخلفاء الأربعة ، ابن عباس ، ابن مسعود ، زيد بن ثابت ، أبي بن كعب ، أبو موسى الأشعري و عبد الله بن الزبير.

- من التابعين : مجاهد ، عطاء بن يسار ، عكرمة ، قتادة ، الحسن البصري ، سعيد بن جبير ، زيد بن أسلم و بعض من تابعي التابعين.

هؤلاء هم الواضعون لما نسميه علم التفسير و علم أسباب النزول و علم المكّي و المدني و علم النسخ و المنسوخ و غيرها من العلوم.

و بهذا تكون عملية الجمع قد تمت بعملية الرسم مروراً بالمراحل التالية :

- 1- التأليف و تمت في عصر رسول الله صلى الله عليه و سلم .
- 2- الجمع في المصحف و تمت في عهد أبي بكر رضي الله عنه.
- 3- نسخ عدة نسخ من المصحف السابق، و تمت في عهد عثمان رضي الله عنه.¹

¹ - بغدادي بلقاسم ، المعجزة القرآنية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص 210 .

الفصل الثاني:

الأبعاد الثقافية

المبحث الأول: الدراسات البلاغية

المبحث الثاني: الدراسات اللغوية

المبحث الثالث: الدراسات القرآنية

• تمهيد:

عندما تم الفتح الإسلامي و استقلت أصول الدولة الإسلامية ، بداية القرن الثاني من الهجرة ، و انتشر العرب في الأقطار المفتوحة ، كان القرآن دافعا لانتباه تلك البلاد إلى لغة المسلمين الفاتحين و بالتالي عليهم أن يحفظوا القرآن و يتعلمونه، و للقرآن ما يعين على فهمه من الثقافات، مما لا ينبغي أن يفوتهم منه شيء، كالتفسير و معرفة الغريب و الإلمام بالنحو و البلاغة و غيرها.

ودعت هذه الحركة الفكرية في هذه العصور إلى التزاوج بين العقول، و التداخل بين الثقافات، فأقبل الفرس على تعلم القرآن ، و علوم العربية ، في حين بدأ العرب يتطلعون إلى ثقافات الفرس و غيرهم يمزجون بها تراثهم .

و جلس علماء المسلمين في مساجد الأمصار، و التفّ حولهم الناس يرتوون بالعلم و يتزودون بالمعرفة، و كان أول ما طرقه هؤلاء من مواضع الدرس، تفسير القرآن، و اشتهرت مساجد البصرة و الكوفة بحلقات الدرس، و ازدهر فيها التفسير و علومه، و اللغة و الشعر، و كان العلماء يناولون كتاب الله بالشرح و الإيضاح و اشتمل هذا الشرح على جوانب مختلفة من الثقافات .

قال الدكتور محمد زغلول سلام : " و جلس إلى علماء المساجد تلاميذ العرب من العرب و الموالي من الفرس و غيرهم من أبناء الأمم المفتوحة و كان هؤلاء العلماء يُسِّطون القول لتلاميذهم باللسان الذي يفهمون ، فكان الأسواري مثلا يتكلم في مجلس البصرة بالعربية و الفارسية ، يفسر القرآن للعرب و الفرس على السواء ، و نشأ بعد ذلك جيل جديد من المثقفين اللذين رضعوا الثقافة العربية التي غلب عليها القرآن و تفسيره ممزوجة بلسان أعجمي . هذا الجيل هم طبقة الموالي و كانت معرفتهم بالعربية معرفة محدودة و كانت رغبتهم في فهم القرآن و معرفته أسرر إعجازه في ازدياد لأهم لم يدركوها بسهولة إدراك العرب لها ،

وقد دفعت هذه الرغبات علماء العرب و غيرهم ممن أتقنوا العربية من الموالي إلى التزوّد من اللغة ، لشرح غريب القرآن ، و مشكل بيانه مستعينين في ذلك بالشعر قدر الإمكان".¹

و أهم ميزة في هذا العصر هو أنه عصر التدوين ، ففيه دونت علوم القرآن بالمعنى الإضافي أي ما يدور حول القرآن من أبحاث بلاغية و لغوية و التي يمكن أن تعد في جملتها ضمن باب التفسير ، و لكن استقلت فيما بعد و أصبحت جزءا من الدراسات و العلوم القرآنية و الملاحظ هنا أن في هذه الفترة نجد أسماء المؤلفين تتكرر في شتى المواضيع لأنهم كانوا موسوعيين مما يؤكد عدم استقلال العلوم عن بعضها البعض.

¹ - محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص 152 - 153 .

المبحث الأول:

الدراسات البلاغية

● تمهيد:

إن معرفة ألفاظ القرآن ، وفهم معانيه ، وإدراك أغراضه و أبعاده هو الهدف الذي يرمي إليه المفسر ، و لا يمكنه أن يقف على شيء من ذلك إلا إذا كان ذا قدم راسخة في علوم اللغة بصفة عامة ، و علوم البلاغة بصفة خاصة ، و قد كان التأمل في أسلوب القرآن و تفهم أسراره البيانية دافعا لظهور الدراسات القرآنية و مدعاة للبحوث البلاغية التي ألفت بغزارة منذ نهاية القرن الثاني هجري في كتب تناولت القرآن و ما فيه من معان و مجاز و نظم و إعجاز ، و أمدتها بفيض زاخر من الملاحظات البيانية التي أثرت البحوث البلاغية على مدى القرون ، فالوقوف على إعجاز القرآن ، و إدراك نظمه و إجتلاء أسراره لا يقوم إلا على تفهم البلاغة و معرفة الفصاحة ، و بهذا يصبح جليا أن المفسرين و أصحاب الدراسات القرآنية كان لهم نصيب كبير في نشأة البلاغة و العمل على تطويرها ، بما قدموه من أبحاث بلاغية للتوصل بها إلى حقيقة الإعجاز ، من هذه الإمامة الخاطفة ، نجد طوائف متعددة من لغويين و متكلمين و أدباء و نقاد و مفسرين تظاهرت جميعا على إبراز ملاحظات بلاغية مفيدة ، و وضع إجابة واضحة المعالم عن الفصاحة و البلاغة و البيان و الأسلوب و الإعجاز ، و كان نتيجة لهذه البيئات المختلفة و تلك الطوائف المتعددة أن بلورت البلاغة في اتجاهات مختلفة و نشأت عنها مذاهب متعددة منها :

1. مذهب المتكلمين:

قام المعتزلة في مطلع القرن الثاني للهجرة عندما بدأت الأفكار الجديدة تتسلل إلى العقول ، و أقبل الناس على الدين الجديد يدرسونه و ينظرون إليه على ضوء تراثهم القديم من ديانات و فلسفات و عقائد ، فنشأت جماعة من علماء مسلمين تسلحوا بمناهج عقلية و عرفوا بقوة البيان و حسن الرأي و قوة الحجة و على رأسهم المعتزلة و كبيرهم واصل بن عطاء المتوفى (سنة 131 هـ) صاحب بيان رائع و قدم راسخة

في البلاغة ، و كان يدافع عن القرآن دفاعاً منهجياً عقلياً خلطه بالفلسفة و خلف واصل في تفسير القرآن على مذهبه كتاباً سماه " معاني القرآن " .¹

و على منهج واصل بن عطاء سار صاحبه عمرو بن عبيد المتوفى (سنة 144 هـ) و كان رجلاً صالحاً زاهداً و يأتي من بعدهما النظام المتوفى سنة (هـ) الذي درس الاعتزال و اتصل بالثقافة الهندية و اليونانية و تعلم المسيحية و لاهوتيتها و كان ■ يميل في علمه إلى التجربة و القياس ، كما ألمّ بالثقافة العربية فحفظ القرآن و نظر فيه و في تفسيره على ضوء مذهبه التجريبي القياسي ، أما نظراته في بيان القرآن بوجه عام فقد اختلفت عن نظرة كثير من أصحابه من المعتزلة فهو يرى أن القرآن في نظمه و تأليفه خارج عن الإعجاز .²

ويعتبر بشر بن المعتمر المتوفى سنة (210 هـ) من متكلمي المعتزلة و هو مؤسس فرع الاعتزال في بغداد ، اتصل بالفضل بن يحيى البرمكي و كان مقرباً إليه و هو شخصية قوية كانت له صحيفة عرفت باسمه تعرّض فيها لقضايا أساسية في البلاغة ، أوردها الجاحظ في كتابه " البيان و التبيين " .

فظهر المتكلمين بفرقهم المختلفة و ما ثار بينهم من جدل حول كثير من القضايا الإسلامية ، كلها متصل بالعقيدة بصورة خاصة ، فاعتمدوا على استخدام الألفاظ بطرق تُخدم غاية في الإقناع و المجادلة ، فكان لهؤلاء أكبر الأثر في بلورة المفاهيم البلاغية الأولى ، و كان القرآن مرجعهم الأول يستمدون منه الأدلة و أدى هذا الجدل بهم إلى التفتن اللفظي و البحث في القضايا البلاغية .³

هذه الطائفة تسلّحت بالفلسفة و المنطق ، لتناضل بهما عن الدين الإسلامي و لكن الفلسفة و المنطق قد انعكس أثرهما على كل ما يتناولونه ، فإذا عرضوا لأمر أدبية فنية ، كأن ينظروا في أي القرآن مثلاً ، لا يستطيعون أن يخلصوا أنفسهم من النظرة العقلية ، حيث يجب النظر الأدبي و يقيسون بمقياس الصحة

¹ — محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص 68 .

² — عبد العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1970 م ، ص 24 .

³ — عبد القادر حسين ، المختصر في تاريخ البلاغة العربية ، دار الشروق ، بيروت ، ط 1 ، سنة 1402 هـ ، 1982 م ، ص 12 .

والخطأ والخير والشر ، بدلا من قياسهم بمقياس الجمال والقبح الذي يجب أن يعتب وحدة مقياس الأدب والفن.¹

و نستطيع أن نلخص طريقتهم في البحث عن طريق استعمال الفلسفة المنطقية في تحديد الموضوعات وتقسيمها والاستعانة بالألفاظ والمصطلحات الفلسفية والمنطقية في تناول الموضوعات البلاغية ، وبذلك بعدت أشواطاً عن مرمى البلاغة وأهدافها التي تغرس في المتعلم الإحساس الفني ، كما عمدت هذه المدرسة إلى التقليل من الشواهد والأمثلة والآيات القرآنية ، وشاعت هذه المدرسة في المناطق الشرقية من الدولة الإسلامية ، حيث يكثر خليط من الفرس والترك والتتر.²

و لا بد لمن يستعرض تاريخ دراسات البلاغة العربية الوقوف عند أعلامها الأفاضل وعلى رأسهم الجاحظ المتوفى سنة (255 هـ) الذي تتلمذ في اللغة والأدب على أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وفي النحو على الأخفش و في علم الكلام على أبي إسحاق إبراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام زعيم المعتزلة ببغداد و اتصل بالثقافة اليونانية عن طريق علماء الكلام ، و مشافهته لبعض مترجميها من أمثال حنين بن إسحاق كما أخذ الثقافة الفارسية عن طريق كتب بن المقفع و توسع في الثقافات كلها بما يقرأ من الكتب التي تصل إلى يديه.³

و رأى الجاحظ أن بيان القرآن و نظمه و تأليفه يحتاج إلى كتاب مستقل يودع فيه رأيه في إعجاز القرآن من هذه الناحية فألف كتاب "نظم القرآن" و كتاب "البيان والتبيين" و أثبت آراءه في بيان القرآن بشكل يوضح الحجج في إعجازه و لا شك أنه قد كان لآراء الجاحظ في هذين الكتابين أثرهما في توضيح الدراسات الأدبية والنقدية بعد ذلك⁴ و قام الجدل و احتدم الخصام حول بيان القرآن من زاوية المجاز بين المعتزلة و أهل

¹ — عبد القادر حسين ، المختصر في تاريخ البلاغة العربية ، ص 13 .

² — المرجع نفسه ، ص 13 .

³ — عبد العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة العربية ، ص 52 .

⁴ — محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص 73 .

السنة و يمثل الفريق الأول في هذا العصر الجاحظ و يمثل الفريق الثاني ابن قتيبة المتوفى سنة (286 هـ) و خرج الجدل من القرآن إلى الأدب العربي بشعره و نثره و تناول أساليب الكلام و فنون التعبير المختلفة.¹

2. مذهب اللغويين و النحاة:

مما لا شك فيه أن البلاغة قد أفادت من الدراسات اللغوية أيما فائدة سواء من حيث حروفها أو في الكلمات مجتمعة من حيث تعادها في الخفة أو الثقل ، وجاء دور علماء اللغة اللذين لهم أثر في مدّ تيار البلاغة بينابيع من دراستهم في اللغة و بحثهم في الألفاظ، و بيان ما يعترها من فصاحة أو ابتذال مما أفاد الدراسات البلاغية، و معنى هذا أن ممن شاركوا مشاركة فعالة في بناء البلاغة طوائف اللغويين و النحاة و الرواة ، فهؤلاء كانوا من أكبر العاملين في ميدان البلاغة العربية و من أولئك العلماء:

سبويه المتوفى سنة (170 هـ): في مؤلفه " الكتاب " يعرض في كتابه القضايا البلاغية منها الحذف الذي يدخل في فن البلاغة مثل التخفيف و الإيجاز و السعة و تناول أيضا التقديم و التأخير في صدر كتابه ، ولم يقتصر على ذكر أنواع البيان و المعاني بل تجاوز ذلك إلى بعض ألوان البديع في عرف المتأخرين و أول هذه الألوان تأكيد المدح بما يشبه الذم.

أبو عبيدة عمر بن المثنى التيمي المتوفى سنة (209 هـ): في كتابه " مجاز القرآن " و قد سار أبو عبيدة في معالجة مجاز القرآن على ترتيب السور و لكن لم يستقص ما اشتملت عليه كل سورة من مجاز و إنما نراه يورد الاستعمالات الغريبة فيها أي أنه ركز على غريب القرآن أو مجاز القرآن بمعنى الأشياء الغريبة التي خرجت من مألوف الإستعمال ، ولكنه أظهر بعض المظاهر البلاغية كالإطناب بزيادة الحروف للتأكيد و الإجمال ، و التقديم و التأخير ، و كاستعمال الكناية استعمال اللغويين و النحاة بمعنى الضمير.²

¹ — محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص 74 .

² — عبد العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة العربية ، ص 37 .

الفراء يحيى بن زياد المتوفى سنة (207 هـ): في كتابه " معاني القرآن " الذي يعتبر دراسة مكتملة لكتاب مجاز القرآن لأنه يبحث في التراكيب والإعراب ، و المجاز و الغريب و كلتا الدراستين متعلقتين بالأسلوب ، وقد ألف هذا الكتاب حوالي سنة 204 هـ. الذي تناول فيه قضايا بلاغية منها الكناية و المجاز بمعناه اللغوي و الاستعارة و حتى النظم.

ابن قتيبة محمد بن مسلم المتوفى سنة (286 هـ) في كتابه " مشكل القرآن " ، كانت ثقافته العربية تقوم على القرآن الكريم و الحديث و اللغة و النحو و الأدب شعره و نثره ، وتخرج من هذا على أئمة عصره و من أساتذته الأصمعي أبي حاتم ، أبو عبيدة ، ابن الأعرابي ، أبو عمر الشيباني و أبو زيد ، و امتزجت ثقافته العربية بالثقافات الأخرى يونانية و فارسية و هندية في ذهنه ، كما كان علما من أعلام السنة و إماما من أئمتهم بل هو لأهل السنة بمنزلة الجاحظ للمعتزلة يتحدث بلسانهم كما كان الجاحظ يتحدث بلسان المعتزلة.¹

و قد تناول ابن قتيبة مسائل بلاغية في صدر كتابه " مشكل القرآن " يجبرنا أن القرآن نزل بلغة العرب ، و المجازات في الكلام و معناها ، طرق القول و مآخذه ، التقديم و التأخير و الحذف و التكرار و الإظهار و التعريض و الإفصاح..... إلخ.

فهؤلاء العلماء الذين سبق ذكرهم نجد نحاة كثر ألفوا في البلاغة أو فيما يتصل بها فمنهم:

- الفضل الضبي المتوفى سنة(168 هـ) له كتاب " معاني القرآن " و كتاب " الألفاظ " .
- يونس بن حبيب المتوفى سنة(183 هـ) له كتاب " معاني القرآن " .
- مؤرج السدوسي المتوفى سنة(195 هـ) له كتاب " غريب القرآن " .
- الكسائي علي بن حمزة المتوفى سنة (197 هـ) له كتاب " معاني القرآن " .
- قطرب المتوفى سنة (206 هـ) له كتاب " معاني القرآن " .

¹ - عبد القادر حسين ، المختصر في تاريخ البلاغة العربية ، ص 28 .

– الأخصف الأوسط أبو الحسن سعبد بن مسعدة المتوفى سنة (221 هـ) له كتاب " تفسير معاني القرآن".

– أبو عبدة القاسم عبء السلام المتوفى سنة (224 هـ) له كتاب "معاني القرآن" و " غرب القرآن".
هؤلاء العلماء النحاة الذين ظهر معظمهم في العصر العباسي الأول لم يحرصوا نشاطهم العلمي في مجال النحو و إنما نراهم يتجاوزنه إلى مجالات أخرى متصلة بالأدب و البلاغة.¹

3. مذهب الفقهاء:

كان للفقهاء المفسرين أثر في البلاغة ، فقد اعتمدوا في استنباط الأحكام الدينية و أصول التشريع الإسلامي على نصوص من الكتاب و السنة ، وهذا بدوره أدى بهم إلى النظر في أساليب القرآن البيانية و التأمل في ألفاظه و دلالاتها و في طرائق التعبير و مراميها .

و كان الإمام الشافعي محمد بن إدريس المتوفى سنة (304 هـ) أول من كتب أصول الفقه و له في كتاب " الأم " الذي استهله بمقدمة ذكر فيها حقيقة البيان العربي ، و قسمه إلى بيان القرآن و بيان السنة و البيان بالرأي. ثم جاء الفقهاء من بعده فتوسعوا في البحوث اللفظية و اعتبروا الإمام بعلوم البلاغة مع سائر العلوم العربية من الأدوات المعينة لهم على الاضطلاع ببحوثهم الفقهية و الأصولية.²

4. مذهب علماء الإعجاز:

إن الدراسات البلاغية المتعلقة بالقرآن قد انطلقت من فكرة إعجاز القرآن و لا يعرف بالضبط متى بدأ البحث في هذا الموضوع ، قد يكون بدأ في القرن الثاني هجري و هو العصر الذي بدأ فيه المفسرون الأولون يدونون ما انتهى إليهم من تفسير عن طريق الرواية الشفوية.

¹ – عبء العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة العربية ، ص 43 .

² – المرجع نفسه ، ص 32 – 33 .

و في بداية القرن الثالث هجري احتدم الجدل حول مسألة وجوه إعجاز القرآن و أول ما فتح الباب هو قول المعتزلة بفريضة الصِّرفة أي أن إعجاز القرآن لا يكمن في التعبير في ذاته و إنما في أشياء أخرى و أشهر من قال بهذه الفكرة النظام المتوفى سنة (220 هـ).¹

و لقد كان الإعجاز خليفا أن يثير في الحياة الإسلامية مباحث على جانب عظيم من الأهمية يتصدى بها العلماء للكشف على وجوهه القرآنية ، وعن أسلوب القرآن الفذ في التصوير و التعبير ، و بذل أولئك العلماء جهودا مشكورة و قاموا بمحاولات مضيئة لإبراز البلاغة القرآنية و عملت فيها و أضافت إليها ثم بنت عليها ، فأقامت علومها و أخرجت أخرى إلى الحياة فبدأت في الدراسات القرآنية دراسات الإعجاز و علومه ، و أفردت كتب خاصة مستقلة بها ، تبحث عن التفسير و قام علماء أجلاء بوضع قواعد و أصول لتوضيح الجوانب البلاغية في أسلوب القرآن و تبرز الفرق بينه و بين أساليب العرب و فنون قولهم.²

و لعل الجاحظ المتوفى سنة (255 هـ) كما سبق ، كان أول من تكلم على بعض المباحث المتعلقة بالإعجاز في كتابه " نظم القرآن " و تطرق فيه إلى الإيجاز و الحذف و بين الزوائد و الفضول و الاستعارات ، و أَلَّف في الإعجاز ابن الأخشيد و أبو علي الحسن بن علي بن نصر ثم جاء الواسطي المتوفى سنة (203 هـ) الذي لا يبعد أن يكون قد استفاد من كتاب الجاحظ و بنى عليه حينما صنف كتابه " إعجاز القرآن " و قد عاصر قطرب و اهتم به عبد القادر الجرجاني بالشرح مرتين نظرا لأهميته ثم يأتي بعد الواسطي الرماني المتوفى سنة (374 هـ) بكتابه " في الإعجاز " و لم يصدر عنه رأي مبتكر حيث تدرج في كتابه من قضية الإعجاز عامة إلى الإعجاز البلاغي خاصة و يليه محمد بن إبراهيم الخطابي المتوفى سنة (377 هـ) في كتابه " بيان إعجاز القرآن " و كتابه هذا مشهور بين كتب الإعجاز لأنه يمثل رأي أهل الحديث في الإعجاز كما مثل الرماني رأي المعتزلة و كما مثل الباقلاني رأي الأشعرية.³

¹ — أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، مكتبة النهضة العربية المصرية ، ط 3 ، ج 3 ، ص 125 .

² — محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص 229 .

³ — المرجع نفسه ، ص 255 .

ثم يضع القاضي أبو بكر الباقلاني المتوفى سنة (403 هـ) كتابه " إعجاز القرآن " الذي جمع فيه كثير من المباحث البلاغية القرآنية و لكنه على سعته و شموليته لا يصور إلا الفكرة السائدة عن الإعجاز في عصره ممزوجة بالمسائل الكلامية الكثيرة.¹

و يأتي على رأسهم الإمام عبد القادر الجرجاني المتوفى سنة (471 هـ) الذي يعتبر فتحا جديدا و مرحلة جديدة هامة في تاريخ الدراسات البلاغية في كتابه " دلائل الإعجاز في المعاني " و " أسرار البلاغة " الذي عمل على هدم النظريتين السائدتين آنذاك ، نظرية القائلين بأن بلاغة الكلام في اللفظ و نظرية القائلين بأن البلاغة في المعنى ليقيم على أنقاضها صرح نظرية جديدة و هي نظرية النظم.²

و هكذا نستطيع أن نتبين بوضوح مدى ما أثارته قضية الإعجاز القرآني من آراء بلاغية ، و كتب صنفت لبيان وجوه الإعجاز ، و اعتمدت أساسا على علوم البلاغة من معان و بيان و بديع ، فكانت هذه الكتب ، و في أول أمرها سبيلا إلى نشأة البلاغة ثم تطورت بها حتى استقرت في النهاية بوضع قواعدها و قوانينها و معظم الكتب البلاغية المعتمدة ، من تراثنا الإسلامي و العربي، نجدها تعرض للإعجاز ، إما عن طريق مباشر أو من خلال الحديث عن الفصاحة و البلاغة فكل ما ذكرناه في هذا البحث من مؤلفات تحمل اسم القرآن و إعجازه عنوانا لها ، و في الوقت نفسه تتحدث عن البلاغة إجمالا و تفصيلا ، نقدا أو تحليلا ، و لم تترك قضية بلاغية إلا و عرضت لها أو ذكرت فيها رأيا ، و إن كان عرضها الأول و هدفها الأوضح هو الوصول بنا إلى معرفة إعجاز القرآن .

أما الكتب البلاغية التي تحمل كلمة القرآن أو إعجازه عنوانا لها . مثل : كتاب الصناعتين أو سر الفصاحة أو العمدة ، فإنها لم تخل من إشارات إلى إعجاز القرآن ، و صلته بعلوم البلاغة من معان و بيان ، فكان الإهتمام بقضية الإعجاز القرآني هو السبيل إلى نشأة البلاغة و تطورها و نضجها.

¹ — صبحي صالح ، مباحث في علوم القرآن ، ص 316 .

² — أحمد شامية ، خصائص العربية و الإعجاز القرآني ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1995 م ، ص 117 .

5. مذهب الأدباء:

ابن المعتز المتوفى سنة (296 هـ) في كتابه " البديع " حيث يضم ألوان البلاغة المختلفة ، لم يفرد له كتاب قائم بذاته قبل كتاب ابن المعتز و إنما كانت أبواب البديع موزعة ، منشورة في كتاب السابقين مثل ابن قتيبة و المبرد و الجاحظ و لم يجمعهما كتاب واحد .

أبو هلال العسكري المتوفى سنة (395 هـ) في كتابه " الصنائع " أي الكتابة و الشعر ، استعان في تأليفه بكل ما سبقه في الكتابة عن هذا الموضوع ، من أمثال ابن سلام ، و الجاحظ و ابن قتيبة ، و ابن معتز ، و قدامة ، و الآمدي ، و القاضي الجرجاني ، استعان هؤلاء جميعاً ثم قدم لنا خلاصة يمكننا القول أنها تبسط الكتب التي ألفت في هذا الفن من قبل .

ابن سنان الخفاجي المتوفى سنة (466 هـ) في كتابه " سر الفصاحة " و يوضح فيه أن معرفة الفصاحة تنعكس على العلوم الشرعية ، لأن فصاحة القرآن معجزة ، فالدواعي إلى معرفة الفصاحة قوية و الحاجة إليها ماسة و شديدة و بين أحكام الأصوات و التنبيه على حقيقتها ، و مخارج الحروف ، و ما ينتظم منها و ما يستكره ، و الألفاظ المستعملة و المهملة ثم ينتقل إلى الكلام عن الفصاحة و البلاغة .

و هناك من ألفت في وجوه بلاغية متنوعة في القرآن الكريم مثل التأليف في أمثال القرآن حيث ألفت فيه القواريري أبو القاسم المتوفى سنة (379 هـ) و ابن نفطويه ، إبراهيم بن محمد المتوفى سنة (323 هـ) ، و عبد الله الخطيب الإسكافي المتوفى سنة (371 هـ) ثم النيسابوري عبد الرحمن بن محمد المتوفى سنة (412 هـ) و أبو الحسن المارودي المتوفى سنة (450 هـ) و البغدادي المتوفى سنة (475 هـ) ... و غيرهم.¹ و مجمل القول ، فقد ساهم في نشأة البلاغة أئمة و علماء من اختصاصات و مذاهب و ثقافات مختلفة ، من متكلمين و فقهاء ، و مفسرين و لغويين لأن علوم القرآن بصفة عامة و علوم العربية بصفة خاصة لم تكن قد استقلت عن بعضها استقلالاً تاماً ، و كان القرآن هو المثل الجامع الذي تصدر عنه الآراء ، و إليه تسمو الهمم .

¹ — الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ص 42 .

المبحث الثاني:

الدراسات اللغوية

• تمهيد:

للقرآن فضل كبير في تطور دراسات اللغة ، و النقد اللغوي ، ولم يكن حرص العرب على اللغة الأصلية - لغة البدو- و تشددهم في المحافظة عليها إلا رغبة منهم في حفظ لغة القرآن ليظل مفهوما مقروءا متدارسا. وعندما تم الفتح الإسلامي ، واستقرت أصول الدولة الإسلامية وانتشر العرب في الأقطار المفتوحة ، واتسعت معهم رقعة اللغة العربية ، فكان لإنتشارها أكبر الأثر في تطور الدراسات اللغوية و النقدية، فالقرآن كتاب العربية الأول و دستور الإسلام والعربية لغة المسلمين الفاتحين، و لغة السلطان والدولة، والأدب والسياسة والحكم، وقد زاد الإقبال على دراسة القرآن و اللغة، فبدأت حركة كبيرة لجمعها، وخرج العلماء من العرب و الموالي للتحصيل من البوادي فتجمع لديهم الكثير . وامتألت صحفهم و خزائنهم.¹

و قد كان العامل الرئيسي وراء هذا كله هو فساد الملكة الغوية من ناحية و ظهور الفرق و الأحزاب من ناحية أخرى ، فخشي علماء المسلمين وولاية الأمر منهم من ضياع اللغة ، و الإنحراف في فهم كلام الله و كلام رسوله عن وجهها الصحيح ، فكان نتيجة ذلك هذا العمل الجليل و الجهد الكبير الذي أدى إلى حفظ اللغة من الإندثار و تقريبها إلى غير أهلها و سرعة إتقانهم لها ، وقد أقبل العلماء المسلمون و طلاب العلم على دراسة اللغة العربية بشكل منقطع النظير ، فكان الذي مهّد في فرع من فروع اللغة و أحب أن يقدم خدمة للقرآن الكريم عمد إلى النص القرآني يتبع جانبا من لغة القرآن يفسرها على ضوء ما عنده من علم بفروع من هذه الفروع.²

¹ - محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص 101 - 102 - 103 بتصرف .

² - عبد الجليل عبد الرحيم ، لغة القرآن الكريم ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، ص 457 .

إذ لا نعدم في كتب معاني القرآن و غريبه و قفات العلماء عند بعض الألفاظ و الآيات لبيان أوجه الإعراب و ذلك أمر طبيعي ، فالتفسير يشمل جلّ هذه المعارف و لا بد للمفسرين من معرفة مفردات اللغة غريبها ، إعرابها و معانيها.¹

و يعد اللحن هو المخرك الفعال و الرئيسي في نشأة التفكير في وضع علوم النحو و يضاف لما سبق أن هناك أبعاد دينية و ثقافية دفعت العرب لوضع النحو .

1- البعد الديني:

أخذ الفساد يدبّ على ألسنة الناس ، فخاف العلماء الأوائل أن يمس هذا الفساد القرآن الكريم أثناء تلاوته و فهم معانيه ، وكان حرصهم شديدا على سلامة القرآن من أي لحن ، لاقترب سلامة الأحكام الدينية من عبادات و معاملات فضرورة المحافظة على الذكر الحكيم قراءة و فهما هي التي قادت علماء اللغة إلى وضع النحو.²

جميعنا يعلم مدى الدور الخطير و المخوري الذي يلعبه الدين و العقيدة في حياة الأمم و نفوس أبنائها ، ذلك لأنه يحدد مصير الإنسان في حياته الدنيا و الآخرة ، من ذلك ما يبدو أن كثيرا من المحاولات الأولى للدرس اللغوي التي تمت في أباكن مختلفة من العالم كانت مرتبطة بالدين و العقيدة.³

فالشعائر الدينية نفسها لا تؤدي إلا بالعربية و الاتصال اللغوي يقوم عليها أساسا و من ثم نجد كثيرا من العلماء العرب و غير العرب يعنون باللغة جمعاً و دراسة جعلها وسيلة طيبة في يد المستعربين.

فحرص العرب حرصاً شديداً على أداء نصوص الذكر الحكيم أداءً فصيحاً سليماً إلى أبعد حدود الفصاحة و السلامة و خاصة بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة و تطرق ذلك إلى قراءتهم القرآنية.⁴

¹ — الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، ط 3 ، سنة 1979 م ، ص 43 .

² — أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج 10 ، ص 250 .

³ — أحمد جاد الكريم ، التوهم عند النحاة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، سنة 2001 م ، ص 13 .

⁴ — محمد طنطاوي ، نشأة النحو ، دار المنار ، القاهرة ، سنة 1991 م ، ص 8 .

و هكذا يظهر أن العامل الديني كان السبب الرئيسي في ظهور الحركة العلمية و ازدهارها في القرون الهجرية الأولى ، و ما النحو إلا ثمرة من هذه الثمرات التي أبعث بفضل مجهودات كثير من العلماء الذين أرادوا خدمة معجزة الإسلام الكبرى ، وسهروا على المحافظة عليها و قد وعد الله عز وجل بحفظها في قوله جل شأنه : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »¹.

2- البعد الثقافي:

أول ما عني به العلماء هو القرآن الكريم لأنه اشتمل على ما لم يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم مصداقا لقوله تعالى: « وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ »².

إن العرب أنفسهم وجدوا أنهم قوامين على أمم ذات حضارات قديمة و ثقافات ذات تنوع و عمق ، ولم يكن للعرب مثل هذه الحضارات و لا تلك الثقافات كما عند غيرهم من الأمم مثل السريان و الهنود و المصريين ، فوجد العرب أنفسهم أمام أمر جد خطير و هو إما أن يكونوا أصحاب رسالة لا تستند إلى ثقافة و بذلك يعرضون دينهم و لغتهم للجمود و تدخل الأفكار الأجنبية ، أو أن يثبتوا لأنفسهم و للعالم أنهم أهل لحمل رسالة السماء و الحفاظ عليها و نشرها و الذود عن اللغة العربية ضد كل ما يعرضها إلى الانحراف.³

و لقد كان ولا يزال القرآن الكريم محور الدراسات الثقافية عند العرب و لقد دفعهم العامل الديني إلى حفظ القرآن الكريم ، لصونه من أي شبهة تلحقه ، فالحقيقة التي لا خفاء فيها و لا لبس أن النحو قد اجتمعت له أسباب الحياة و النمو و زخر ثم فاض و استبحر ، حتى ملأ الحواضر و الأمصار.⁴

¹ — سورة الحجر ، الآية 3 .

² — سورة آل عمران ، الآية 7 .

³ — تمام حسان ، الأصول ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، سنة 1982 م ، ج 2 ، ص 23 .

⁴ — علي النجدي ناصف ، سبويه إمام النحاة ، فحضة مصر ، مصر ، القاهرة ، ص 26 .

و إذا كان إعراب القرآن بمعناه الإصطلاحي قد ورد مشبوتا في تفاسير كثيرة للقرآن الكريم فإننا نحاول

أن نتبع من أفرد تأليفا للموضوع ، ويمكن تقسيم هذه التأليف إلى قسمين :

– كتب ألفت في إعراب القرآن ، ألفاظه و آياته.

– كتب تناولت قضايا نحوية و لغوية في القرآن الكريم .

• جهود العلماء في إعراب القرآن:

لقد كان الإعراب من أدوات المفسر الذي لا يستغنى عنه ، و لا يستطيع أن يفسر بدونه حتى الآن ، بعض العلماء كان يجعل من إعراب القرآن علما ، و يعدّه من فروع علم التفسير لا النحو ، فالإعراب يوضح التفسير و لا غرّو أن التفسير قد تناول الإعراب عند تفسير الآيات ، و قلّما نجد كتابا في التفسير دون أن نجد فيه شيئا من النحو و الإعراب و لقد نظر النحويون في إعراب الآيات منذ أول كتاب نعرفه في النحو و هو كتاب سيويه المتوفى سنة (170 هـ) ففيه نجد كثيرا من الشواهد القرآنية ، يتعرض لها بالإعراب أثناء شرحه للقاعدة النحوية ، ففي كلامه عن (ما) الحجازية مثلا يأتي بالآية القرآنية " مَا هَذَا بَشَرًا " ¹ و يرى أن بشراً منصوبة لأنها خبر (ما) في لغة أهل الحجاز و بنو تميم يرفعونها إلا من عرف كيف هي في المصحف. ²

و بعد سيويه يأتي الفراء المتوفى سنة (207 هـ) في كتابه " معاني القرآن " ، و إذا كان سيويه قد تعرّض لإعراب الآيات من خلال الشواهد النحوية لإثبات القواعد و ترسيخها ، فإن الفراء قد أعرب الآيات أيضا و لكن من خلال منهج آخر ، ذلك أنه ألف كتابه " معاني القرآن " و يعني فيه بما كان يشكل في القرآن و يحتاج إلى بعض العناية في فهمه و كتاب الفراء يغلب عليه الشرح اللغوي ، وهو في أثناء ذلك لا ينفك يذكر وجوه الإعراب المختلفة للآيات .

¹ – سورة يوسف ، الآية 31 .

² – سيويه ، الكتاب ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ص 28 .

و بعد الفراء بقليل نجد ما يعرف بكتب المجاز ، و أشهر هذه الكتب " مجاز القرآن " لعبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة (210 هـ) ، يتناول القرآن كله من فاتحة الكتاب فالبقرة ، قال عمران ، سورة سورة ، فيعرض ما في كل سورة من الألفاظ يشرحها شرحا لغويا ، و يفسر غريبها و يقيم إعرابها.....¹

و كتاب ابن عبيدة ليس بذي غناء في مجال الإعراب ، فهو قلما يتناول آيات بالإعراب و إذا تناولها فإنما يتناولها تناولا خفيفا ، و لا يتعمق في التحليل الإعرابي كما فعل الفراء .

ثم يأتي الزجاج أبي إسحاق إبراهيم المتوفى سنة (316 هـ) في كتابه " إعراب القرآن " ، يقول الدكتور عبد العال سلام مكرم : " الزجاج في معانيه تحدّث عن الإعراب فكتابه المعاني كتاب إعراب قبل أن يكون كتاب تفسير.... " و إذا كان الزجاج استوفى الإعراب في المعاني فلا يعقل أن يعيد ذلك في كتاب الإعراب الذي نسب إليه.²

و يبدو لنا أن الزجاج استقصى ما في القرآن من ظواهر نحوية ، و قسم كتابه إلى أبواب ، إذ أنها لا تتناول الإعراب وحده و إنما يتصل بأبنية الصرف و القلب و الإبدال و البيان و كان الغرض من هذا الجمع أن يكون الكتاب كتابا في النحو القرآني.

هذه كلها كانت أنواعا من المؤلفات تضمنت فيما تضمنته الإعراب ، وكان أول من صنف في إعراب القرآن خالصا لهذا الغرض هو قطرب بن محمد المستنير المتوفى سنة (206 هـ) من أقدم ما ألف فيها ثم المبرد المتوفى سنة (285 هـ) و ثعلب المتوفى سنة (291 هـ) و ألف النحاس أحمد بن محمد المتوفى سنة (338 هـ) كتابا في إعراب القرآن و اعتمد في مواضع عديدة منه على كتاب الزجاج و على كتاب الفراء في معانيه ، و ألف ابن شتة أبو بكر الأنصاري المتوفى سنة (310 هـ) كتابا سماه " رياضة الألسنة في إعراب القرآن و معانيه "

¹ — الشريف الرضي ، تلخيص البيان في مجازات القرآن ، مطبعة عيسى الحلبي ، ط 1 ، سنة 1955 م ، ص 6

² — عبد العال سلام ، القرآن الكريم و أثره في الدراسات النحوية ، ص 273 .

و ألف الفارسي الحسين بن أحمد الغفار المتوفى سنة (377 هـ) كتاب " الإغفال في ما أغفله الزجاج في المعاني " وهو إيضاح و تعقيب على مواضع من كتاب أبي إسحاق الزجاج في إعراب القرآن .

• جهود العلماء في القضايا اللغوية و النحوية :

يرى ابن خلدون في مقدمته أثر القرآن في نشأة الدراسات النحوية فيقول : " فلما جاء الإسلام ، وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم و الدول ، وخالطوا العجم ، تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمستعربين ، و السمع أبو الملكات اللسانية ، ففسدت بما ألقى إليها مما غيرها بجوحها إليه باعتماد السمع ، و خشي أهل العلم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا و يطول بها العهد فيتعلق القرآن و الحديث على المفهوم ، فاستنبطوا مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة " ¹

نفهم من كلام ابن خلدون أن هناك دافعا دينيا و ثقافيا حرك هم العلماء المسلمين المخلصين للذود عن العربية و بذلك ظهرت حركة التنقية اللغوية ، و كان للقرآن فيه شأن ، و قد بدأت هذه الحركة بدء القرن الثاني هجري و قام جماعة من العلماء دأبهم أن يجعلوا قواعد و أصول يضبطون بها الإعراب على أصول من الإستقراء الدقيق و الملاحظة و الإحصاء للغة الأصلية القديمة . فالأصمعي في القرن الثاني و أول الثالث ظهر على رأس حركة التنقية اللغوية و لم يكتف بجمع المادة من أفواه البدو و ترتيبها فحسب بل شرع كذلك في تنظيم الإستعمال اللغوي الدقيق بواسطة تجديدات معنوية غاية في الدقة. ²

الدراسات اللغوية بألفاظها و فصيحها و غريبها قد استقلّ بها جماعة اشتهروا باسم اللغويين و نذكر على رأسهم أبو عمر بن العلاء و كان أعلم الناس بأمور العرب و بالغريب و العربية و الشعر و أيام الناس ، و كان إلى جانب هذا كله عالما في القرآن و علومه ، كثير الجمع عن الإعراب ، غزير المحصول ، و من هؤلاء النظر بن شمیل و يلقب بالمازني أقام بالبادية زمنا طويلا فأخذ عن فصحاء الأعراب و منهم الكسائي و كان

¹ — ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق : علي عبد الواحد وافي ، دار الشعب ، القاهرة ، ط 1 ، ص 502 .

² — يوهان فك ، العربية ، ترجمة : عبد الحليم النجار ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، سنة 1951 م ، ص 43 .

ينتقل في البلدان و إلى بوادي الحجاز و نجد و تهامة فرجع و قد أنفذ خمس عشرة قينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ.¹

و يتبين لنا أن هذه المرحلة كانت ضرورية لإستقرار الدراسات اللغوية ، و خطوة لوضع منهج يسير عليه اللغويون حتى لا يخلطوا بين اللهجات الفصيحة و غيرها من الأعجمي و الوحشي و غير الفصيح .

و من أهم الكتب التي ظهرت في هذا العصر و تمثل مرحلة الجمع المنظم " الكتاب العين " للخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة (170 هـ) فقد جمع المفردات اللغوية و صنفها بالترتيب الصوتي لمخارج الحروف أولها حرف العين ، و يستشهد على الألفاظ بآيات القرآن.²

و إلى جانب الإتجاه السابق برز اتجاه آخر يتعلق بقواعد اللغة ، و بناء الألفاظ و هناك اتجاه ثالث في مؤلفات اللغة في ذلك العصر كان للقرآن فيه أكبر الأثر و على رأس هذه السلسلة الجديدة كتب غريب القرآن فقد اشتهر منها " غريب القرآن " لأبي عبيدة المتوفى سنة (210 هـ) الذي يعتبر كتابه مرجعا لكثير من الدراسات اللغوية و الأدبية و " غريب القرآن " لابن قتيبة المتوفى سنة (286 هـ) حيث تعرض لشرح غريب القرآن بترتيب السور ، لكنه اهتم بالألفاظ و الإشتقاق و البناء و الإستعمال الصحيح مما يعد ذخيرة لغوية تضاف إلى التراث اللغوي.³

و لا بد من الإشارة إلى اتجاه آخر أيضا و هو البحوث اللغوية في مدلول اللفظ ومنها :

- كتاب عبد القاسم بن سلام المتوفى سنة (223 هـ) الموسوم بـ " الأجناس " و يمتّ منهج هذا الكتاب و موضوعه بسبب إلى الكتب و الدراسات السابقة في مدلول اللفظ و هو سابق لكتابي المبرد ،

¹ — البغدادي أبو بكر بن الخطيب ، تاريخ بغداد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ج 11 ، ص 411 .

² — السيوطي جلال الدين ، المزهري في علوم اللغة و أنواعها ، تحقيق: البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ج 1 ، ص 54 .

³ — محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص 169 .

و ابن الأنباري ، و عاصر الأصمعي و أبي حاتم و اسمه الكامل : " كتاب الأجناس من كلام العرب ، و ما أشبه اللفظ و اختلف في المعنى " .¹

• كتاب " الأضداد " لأبي حاتم السجستاني المتوفى سنة (228 هـ) : و يعتبر بحق أول من أرسى قواعد هذه الدراسة و وضع اللبنة الأولى في بحوث مدلول اللفظ و قد بحث في نظرية المعنى اللفظي في الأضداد بحثا جديدا أثار رؤوسا في المسائل و المشكلات اللغوية ، و حدد الخطوات الأولى للمنهج الذي ينبغي إتباعه.²

• كتاب " الإختلاف في اللفظ " و كتاب " ما اتفق لفظه و اختلف معناه من القرآن المجيد " لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد المتوفى سنة (284 هـ) ، و يشير في كتابه إلى الإختلاف في اللفظ اتجاه الآخر قريب الصلة جدا بالأضداد في مدلول اللفظ في القرن الثالث ، و قد كان الإختلاف في فهم غريب القرآن و تعارض الآراء فيه دافعا إلى دراسة ظاهرة الإختلاف في المدلول كما كانت دافعا إلى دراسة ظاهرة الأضداد .³

• كتاب " الأضداد " لابن الأنباري المتوفى سنة (328 هـ) ، ألف كتابه متأثرا بمحاولات سابقه كالأصمعي و أبي حاتم و ابن قتيبة ، و حاول الجمع بينهما ليكمل بعضها بعضا ثم يضيف من رأيه إليها، و كانت له نظرة أكثر شمولا و نضجا عن سابقه في هذا المجال.

و أقدم ما وصل إلينا من أسماء الكتب التي تناولت قضايا لغوية و نحوية منها كتاب " الهجاء في القرآن الكريم " لأبي عمرو يحيى بن الحارث الهمداني المتوفى سنة (154 هـ) و إن لم يصل إلينا إلا أن من المرجح أن يكون متعلقا بمباحث القراءات القرآنية و شيء من القرآن في حد ذاته ، ثم الكسائي المتوفى سنة (189 هـ) و اسم كتابه " مقطوع القرآن " ، ثم كتاب ابن سعدان المتوفى سنة (203 هـ) . و الذي سماه كتاب " الحروف في معاني

¹ — محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص 191 .

² — المرجع نفسه ، ص 169 .

³ — المرجع نفسه ، ص 183 .

القرآن " ثم الفراء في كتابه " المصادر في القرآن " و كتابه الآخر المسمى " الجمع و التنبية في القرآن " و ألف الدينوري أحمد بن جعفر المتوفى سنة (289 هـ) كتاب " ضمائر القرآن " و ألف ابن نفطوية إبراهيم بن محمد المتوفى سنة (323 هـ) كتاب " الاستثناء و الشرط في القرآن " و كتب ابن الأباري أيضا كتاب " الهاءات في القرآن " أما ابن درستويه أبو محمد عبد الله بن جعفر المتوفى سنة (330 هـ) كتاب " الألفات في القرآن " .

نحن إذن نرى أن هذه الدراسات أخذت تنمو و تكتمل منذ أواخر القرن الثاني للهجرة و بعدما ظهرت مدارس نحوية و جب علينا أن نخرج إلى الخلاف بين مدرستي البصرة و الكوفة و ما اضطلع به أئمة النحو من الفريقين.

● المدارس النحوية:

نلاحظ أن الدراسات النحوية بدأت بملاحظات و آراء جريئة بدافع المحافظة على لغة القرآن و فهم معانيه ثم تطورت هذه الدراسات على يد أئمة النحو في البصرة ، فظهر فيها أعلام النحو من تقصّى الدراسة حتى أصبح النحو له أصوله و قوانينه من أمثال : الخليل و سبويه الذي اعتُبر كتابه في النحو (قرآن النحو) و إن كانت الدراسات حتى تلك الفترة غير مستقلة تماما من علوم اللغة بشكل عام ، فكتاب سبويه في واقع الأمر هو كتاب في اللغة و المعاني و القراءات و النحو و الصرف.¹

إن انقسام أئمة النحو نظرا لخلاف في وجهات النظر بدأ أولا يتعصب التلميذ لأستاذه ، تبعه خلاف في المنهج المتبع أيضا ، و تقدمت الدراسات النحوية في مدرسة الكوفة و البصرة فكثرت المؤلفات في نحو المذهبين و كانت المناظرات تثري هذه الدراسات و ترفد علم النحو بروافد جديدة تمت فيها دراسة اللغة دراسة تفصيلية دقيقة مع التفسير و تخريج للشواهد القرآنية و الشعرية التي قد تخالف القاعدة العامة.²

¹ — أحمد شامية ، خصائص العربية ، ص 96 .

² — المرجع نفسه ، ص 96 .

لقد اعتمد النحويون البصريون على التخرج في الرواية و عدم الأخذ إلا عن الفصحاء الذين لم يختلطوا بغير العرب ، و لم يعمّموا القياس ليشمل كل ما ورد و سمع ، و أهملوا في قواعدهم اللغات النادرة القليلة ، و إن أشاروا إليها أحيانا ، فإنما يعتبرونها من الشواذ ، أما نحاة الكوفة فقد كانوا أكثر توسعا في أصول الرواية و أكثر تعميما في القياس حتى كثرت عندهم القواعد الإستثنائية لتشمل الشواهد و اللغات و بدأ النحو الكوفي حقيقة بالكسائي و تلميذه الفراء و ابن الأنباري.¹

و بعدها تكاتف الفريقان من البصرة و الكوفة على استكمال قواعد النحو و ذلك بما ظهر لديهما من حدة التنافس على خدمة هذا العلم و الإرتقاء به ، فلم تكن البصرة و هي واضعة علم النحو² ، لأن هذا العلم قانون لغوي و هذا القانون اللغوي دستور عربي عام ، و هو نتاج جماعي مشترك بين القادرين على الإستقراء و الإستنتاج ثم التقيد و التقنين ، فالأصل في كل علم أن يكون جمعا لجهود متقاربة مجتمعة على أصل واحد و هدف واحد بعينه فإن كانت البصرة سبّاقة إلى تقنين العربية ، فإن للكوفة فضل الإكمال و الإتمام في كثير من الأحكام الصرفية و اللغوية.³

و هكذا كانت نشأة النحو ، مرتبطة بالقراءات و متصلة بها أوثق اتصال ، و إذا كانت القراءة في عامة أمرها تمثل كيف تلقى المسلمون الأولون للنص القرآني أداء و فهما - فإن النحو - في الفترة التي تلت انتشار هذا النص عللوا لهذا الضبط بما يروى عن العرب من الآثار الأدبية حتى يعرف القراءات فيما بعد و أن هذا النص لم يخرج بأساليبه التي تبدو جديدة عن المروي عن العرب الأقحاح الذين كانوا يملكون ناصية اللغة و يتصرفون فيها.⁴

¹ - أحمد شامية ، خصائص العربية ، ص 97 .

² - عبد الله أحمد جاد الكريم ، النحو العربي عماد اللغة و السدين ، مكتبة الآداب علسي حسن ، القاهرة ، ط 1 سنة 1466 هـ ، 2002 م ، ص 14 .

³ - فوزي مسعود ، سبويه جامع النحو العربي ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، سنة 1986 م ، ص 14 .

⁴ - السيد أحمد خليل ، دراسات في القرآن ، ص 68 .

و بالجملة يمكن القول أن الاهتمام بالدراسات اللغوية كان هدفه وضع القواعد و تدوين القوانين بعد فساد الملكات و السلائق اللغوية ، فأصبح مراعاة هذه القواعد و معرفة قانون تأليف الجملة العربية من الضروري للمفسر من أجل ذلك قام أجلة من العلماء بصرف جهدهم في تحليل التراكيب القرآنية على ضوء هذه القواعد المدونة ، فألفت تلك الكتب التي سبق ذكرها و غيرها كثير.

المبحث الثالث:

الدراسات القرآنية

• تمهيد:

شهدت حركة التأليف في علوم القرآن - كغيره من العلوم الإسلامية - تطوراً سريعاً ، فما أن أذن الرسول صلى الله عليه و سلم بالكتابة حتى تسابقت أقلام الصحابة إلى تدوين العلوم والأخبار ، وخاصة ما تعلق منها بالوحي المنزل و بالسنة النبوية القولية منها و الفعلية.

فجاء القرن الثاني الهجري ليجد حركة علمية و نهضة فكرية كانت بحق عصب النماء و الرافد القوي الذي مد العصور اللاحقة بمادة علمية أساسية ، أقامت عليها بناؤها ، و جعلتها ركيزة و أساساً لذلك البنيان. فظهرت الرسائل الصغيرة و ذلك بفضل المواد العلمية المجموعة بعضها عن بعض و تخصيص كل موضوع بكتاب يحمل عنواناً مستقلاً ، و ظهرت حركة الترجمة ، و اتسعت دائرة التدوين ، و فصلت الموضوعات و تكاملت و عد هذا القرن بحق قرن تدوين العلوم الإسلامية.

و قد امتازت المؤلفات في هذه الفترة بتوسع في المادة العلمية عن ذي قبل ، و شمول لم يوجد في القرن الذي سبقه ، و تنوعت الموضوعات تنوعاً أفضل و ظهرت موضوعات جديدة لم تكن مطروحة عند السابقين ، فأفردت بالتصنيف كعلم مجاز القرآن و معانيه ، و كعلم أسباب النزول و إعراب القرآن و الأمثال و غيرها ، و كان الغالب على هذه المصنفات السمة التجميعية ، جمع الروايات المعنية بالموضوع ، يكتبها المصنف بذكر الآيات أو الروايات و الآثار التي تبين ذلك و توضحه . دون التعرض للمناقشات و الإشكالات التي قد تعترض طريق القارئ ، و دون التطرق للقواعد أو الضوابط التي تنضبط الموضوع المطروق.

و حين ظهرت المذاهب الفقهية ، و أوجد علم الكلام ، و كثرت الفرق الإسلامية و تعددت النحل ، و تأثر المسلمون بالثقافات التي وردت إليهم عن طريق الشعوب التي أسلمت ، و كثر كيد اليهود و غيرهم للإسلام ، كثر التصنيف ، و وضعت الضوابط و القواعد ، و اتجه العلماء إلى تدقيق النظر في الروايات ، و التحري في صحتها ، و تمحيصها من الكذب و دخيل القول ، فأصبحت المصنفات أكثر دقة من ذي قبل .

و هكذا استمر التأليف يتطور يوما بعد يوم ، و تتكامل الموضوعات تكاملا دقيقا ، و تتوضح الرؤية في كثير من مسائل العلم توضيحا أدق ، و لعل جل اهتمام العلماء في خدمة كتاب الله في هذه الفترة كان منصرفا إلى :

1. علم التفسير ، و ما يتعلق به من بيان المعاني و الغريب من الألفاظ و المتشابه منه و المحكم ، و إعراب القرآن .

2. علم القراءات القرآنية ، و ما يتعلق به من رسم المصحف و الأحرف السبعة ، و قد لقيت هذه العلوم اهتماما خاصا من علماء الإسلام ، لكونها تمس النص القرآني ، و تؤكد سلامته من النقص و الزيادة و التحريف .

3. علم النسخ و المنسوخ ، يدخل فيه المنطق و المقيد ، و العام و الخاص و ما إلى ذلك ، تتبعها المصنفون في جميع المصحف ، و قيدها تحت هذا المصطلح ، حتى جاء المتأخرون الذين رأوا الفصل بين تلك الموضوعات ، فأفردوا المطلق و المقيد و العام و الخاص بتأليف مستقلة .

و المصنفات التي ظهرت في هذه المرحلة كثيرة يصعب حصرها و لهذا سأكتفي بذكر نماذج من أهمها :

أ - علم التفسير :

1. تفسير مجاهد بن جبر المتوفى سنة (104 هـ).¹
2. تفسير الضحاك بن مزاحم المتوفى سنة (105 هـ).²
3. تفسير عكرمة مولى ابن عباس المتوفى سنة (107 هـ).³
4. تفسير محمد بن كعب القرظي المتوفى سنة (108 هـ).⁴

¹ — فؤاد سيزكين ، تاريخ التراث العربي ، ج 1 ، ص 71 .

² — المرجع نفسه ، ص 71 .

³ — حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أساسى الكتب و الفنون ، ج 1 ، ص 403 .

⁴ — المرجع نفسه ، ص 407 .

5. تفسير الحسن البصري المتوفى سنة (110 هـ).¹
6. تفسير عطاء بن رباح المتوفى سنة (114 هـ).²
7. تفسير قتادة بن دعامة السدوسي المتوفى سنة (117 هـ).³
8. تفسير عطاء بن دينار المتوفى سنة (126 هـ).⁴
9. تفسير إسماعيل السدي المتوفى سنة (127 هـ).⁵
10. تفسير عطاء بن أبر رباح الخرساني المتوفى سنة (133 هـ).⁶
11. تفسير زيد بن أسلم المتوفى سنة (136 هـ).⁷
12. تفسير هشيم بن بشير السلمى المتوفى سنة (173 هـ).⁸
13. تفسير عبد الرزاق الصنعائي المتوفى سنة (211 هـ).
14. تفسير الإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة (241 هـ).⁹
15. تفسير ابن ماجة المتوفى سنة (273 هـ).¹⁰
16. كتاب الحاوي في علوم القرآن لابن المرزبان المتوفى سنة (309 هـ).¹¹
17. كتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري المتوفى سنة (310 هـ).

¹ — فؤاد سيزكين ، تاريخ التراث العربي ، ج 1 ، ص 446 .

² — المرجع نفسه ، ص 453 .

³ — المرجع نفسه ، ص 456 .

⁴ — المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 76 .

⁵ — المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 77 .

⁶ — حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج 1 ، ص 453 .

⁷ — المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 498 .

⁸ — فؤاد سيزكين ، تاريخ التراث العربي ، ج 1 ، ص 77 .

⁹ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، تحقيق: علي محمد عمر ، مطبعة الاستقلال ، مكتبة وهبة ، ط 1 ، سنة 1971 م

ج 1 ، ص 72 .

¹⁰ — المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 174 .

¹¹ — المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 146 .

18. تفسير أبي بكر النيسابوري المتوفى سنة (318 هـ).¹
19. تفسير ابن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة (327 هـ).
20. كتاب الاستغناء في علوم القرآن لأبي بكر الأذفوي المتوفى سنة (388 هـ).²

ب - علم معاني القرآن:

1. كتاب معاني القرآن : واصل بن عطاء الغزال المتوفى سنة (131 هـ).³
2. كتاب معاني القرآن : محمد بن الحسن الرؤاسي المتوفى سنة (170 هـ).⁴
3. كتاب معاني القرآن : للكسائي علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي المتوفى سنة (189 هـ).⁵
4. كتاب معاني القرآن : لقطرب بن المستنير المتوفى سنة (206 هـ).⁶
5. كتاب معاني القرآن : للفراء يحيى بن زياد المتوفى سنة (207 هـ).⁷
6. كتاب معاني القرآن : لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط المتوفى سنة (216 هـ).⁸
7. كتاب معاني القرآن : لابن كيسان المتوفى سنة (299 هـ).⁹
8. كتاب معاني القرآن : لسلمة بن عاصم النحوي المتوفى سنة (310 هـ).¹⁰

¹ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 55 .

² — فؤاد سيزكين ، تاريخ التراث العربي ، ج 1 ، ص 77 .

³ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 55 .

⁴ — حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج 2 ، ص 173 .

⁵ — ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، سنة 1950 م ، مجلد 5 ، ص 323 .

⁶ — ابن كثير ، البداية و النهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط 5 ، سنة 1984 م ، ج 10 ، ص 209 .

⁷ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 368 .

⁸ — المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 192 .

⁹ — المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 55 .

¹⁰ — ابن النديم ، الفهرست ، ص 67 .

9. كتاب معاني القرآن و إعرابه : إبراهيم بن سري الزجاج المتوفى سنة (311 هـ).¹

10. كتاب معاني القرآن : لأبي جعفر النحاس المتوفى سنة (338 هـ).²

ج - علم إعراب القرآن:

1. كتاب إعراب القرآن : لمحمد بن المستنير الشهرير بقطرب المتوفى سنة (206 هـ).³

2. كتاب الجمع و التثنية في القرآن: ليحيى بن زياد المعروف بالفراء المتوفى سنة (207 هـ).⁴

3. كتاب إعراب القرآن : لأبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة (209 هـ).⁵

4. كتاب إعراب القرآن : لابن حبيب القرطبي المتوفى سنة (238 هـ).⁶

5. كتاب إعراب القرآن : لأبي حاتم سها السجستاني المتوفى سنة (248 هـ).⁷

6. كتاب إعراب القرآن : للأحمد بن يحيى المعروف بثعلب المتوفى سنة (291 هـ).⁸

7. كتاب إعراب القرآن : لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد المتوفى سنة (286 هـ).⁹

8. كتاب إعراب القرآن : للزجاج إبراهيم بن السري المتوفى سنة (311 هـ).¹⁰

9. كتاب إعراب القرآن : لأبي جعفر النحاس المتوفى سنة (338 هـ).¹¹

10. كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن: الحسين بن أحمد بن خالوية المتوفى سنة (370 هـ).¹²

¹ - ابن النديم ، الفهرست ، ص 60 .

² - الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 67.

³ - ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 10 ، ص 259.

⁴ - ابن النديم ، الفهرست ، ص 66 .

⁵ - المصدر نفسه ، ص 53 .

⁶ - حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج 1 ، ص 123 .

⁷ - المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 123 .

⁸ - ابن النديم ، الفهرست ، ص 74 .

⁹ - المصدر نفسه ، ص 59 .

¹⁰ - الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ص 59 .

¹¹ - المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 68 .

¹² - ابن ثغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، ج 4 ، ص 139 .

د - علم غريب القرآن:

1. كتاب غريب القرآن : لعطاء بن أبي رباح القرشي المتوفى سنة (114 هـ).¹
2. كتاب غريب القرآن : لأبان بن تغلب المتوفى سنة (141 هـ).²
3. كتاب غريب القرآن : مؤرج بن عمرو السدوسي المتوفى سنة (174 هـ).³
4. كتاب تفسير غريب القرآن : للإمام مالك بن أنس المتوفى سنة (179 هـ).⁴
5. كتاب غريب القرآن : لعلي بن حمزة الأسدي الكسائي المتوفى سنة (189 هـ).⁵
6. كتاب غريب القرآن : لقطرب محمد بن المستنير المتوفى سنة (206 هـ).⁶
7. كتاب تأويل غريب القرآن : للفراء يحيى بن زياد المتوفى سنة (207 هـ).⁷
8. كتاب غريب القرآن : لأبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة (209 هـ).⁸
9. كتاب تأويل غريب القرآن : لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش المتوفى سنة (216 هـ).⁹
10. كتاب غريب القرآن : لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة (223 هـ).¹⁰
11. كتاب غريب القرآن : لمحمد بن سلام الجُمَحِي المتوفى سنة (231 هـ).¹¹
12. كتاب غريب القرآن : لابن السكيت المتوفى سنة (244 هـ).¹²

¹ - فؤاد سيزكين، تاريخ التراث العربي، ج 1، ص 73.

² - المرجع نفسه، ج 1، ص 42.

³ - حاجي خليفة، كشف الظنون، ج 2، ص 1207.

⁴ - الداودي محمد بن علي، طبقات المفسرين، ص 310.

⁵ - المصدر نفسه، ص 404.

⁶ - ابن كثير، البداية و النهاية، ج 10، ص 259.

⁷ - ابن النديم، الفهرست، ص 66.

⁸ - المصدر نفسه، ص 53.

⁹ - الداودي محمد بن علي، طبقات المفسرين، ص 192.

¹⁰ - ابن كثير، البداية و النهاية، ج 1، ص 281.

¹¹ - البغدادي، تاريخ بغداد، ص 327.

¹² - ابن النديم، الفهرست، ص 66.

13. تفسير غريب القرآن : لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة (276 هـ).¹
14. كتاب غريب القرآن : محمد بن العباس بن محمد اليزيدي المتوفى سنة (311 هـ).²
15. كتاب غريب القرآن المسمى نزهة القلوب : لأبي بكر السجستاني المتوفى سنة (330 هـ).³
16. كتاب الإشارة في غريب القرآن : لأبي بكر النقاش المتوفى سنة (351 هـ).⁴
17. كتاب غريب القرآن : لأحمد بن كامل بن خلف بن شجرة المتوفى سنة (355 هـ).⁵

هـ - علم الناسخ و المنسوخ :

1. كتاب الناسخ و المنسوخ : لقتادة بن دعامة السدوسي المتوفى سنة (118 هـ).⁶
2. كتاب الناسخ و المنسوخ : لابن شهاب الزهري المتوفى سنة (124 هـ).⁷
3. كتاب الناسخ و المنسوخ : عطاء بن مسلم الخرساني المتوفى سنة (135 هـ).⁸
4. كتاب ناسخ القرآن و منسوخه : لمحمد بن سائب الكلبي المتوفى سنة (146 هـ).⁹
5. كتاب الناسخ : للحسين بن واقد المروزي المتوفى سنة (159 هـ).¹⁰
6. كتاب الناسخ و المنسوخ : لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي المتوفى سنة (182 هـ).¹¹
7. كتاب الناسخ و المنسوخ : لعبد الوهاب العجلي الخفاف المتوفى سنة (204 هـ).¹²

¹ - الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ص 251 .
² - الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاء مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة 1981 م ، ص 361
³ - ابن النديم ، الفهرست ، ص 37 .
⁴ - البغدادي ، تاريخ بغداد ، ص 201 .
⁵ - ابن النديم ، الفهرست ، ص 32 .
⁶ - حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ص 456 .
⁷ - النحاس أبي جعفر ، الناسخ و المنسوخ ، تحقيق: سليمان بن إبراهيم الأحمر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة 1991 م ، ص 26 .
⁸ - المرجع نفسه ، ص 18 .
⁹ - فؤاد سيزكين ، ج 1 ، ص 80 .
¹⁰ - الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ص 163 .
¹¹ - ابن النديم ، الفهرست ، ص 40 .
¹² - الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ص 369 .

8. كتاب الناسخ و المنسوخ : لحجاج بن محمد المصيبي الأعور المتوفى سنة (206 هـ).¹
9. كتاب الناسخ و المنسوخ : لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي المتوفى سنة (224 هـ).²
10. كتاب الناسخ و المنسوخ : للحسن بن فضال الكوفي المتوفى سنة (244 هـ).³
11. كتاب الناسخ و المنسوخ : ل محمد بن سعد بن منيع العوفي المتوفى سنة (230 هـ).⁴
12. كتاب ناسخ القرآن و منسوخه : لجعفر بن مبشر الثقفي المعتزلي المتوفى سنة (235 هـ).⁵
13. كتاب الناسخ و المنسوخ : لسريج بن يونس المروزي المتوفى سنة (236 هـ).⁶
14. كتاب ناسخ القرآن و منسوخه: للإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة (241 هـ).⁷
15. كتاب الناسخ و المنسوخ : لأبي داود السجستاني المتوفى سنة (275 هـ).⁸
16. كتاب ناسخ القرآن و منسوخه : لإبراهيم بن إسحاق الحربي المتوفى سنة (285 هـ).⁹
17. كتاب الناسخ و المنسوخ : لأبي مسلم إبراهيم الكجي الكشي المتوفى سنة (292 هـ).¹⁰
18. كتاب الناسخ و المنسوخ : للحسين بن منصور الحلاج المتوفى سنة (309 هـ).¹¹
19. كتاب الناسخ و المنسوخ : لأبي بكر السجستاني المتوفى سنة (316 هـ).¹²
20. كتاب ناسخ القرآن و منسوخه : للزبير أحمد الزبيري المتوفى سنة (317 هـ).¹³

¹ — ابن ثغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، ج 2 ، ص 181 .

² — ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 1 ، ص 281 .

³ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 1 ، ص 141 .

⁴ — مصطفى زيد ، النسخ في القرآن الكريم ، دار الوفاء ، مصر ، سنة 1986 م ، ج 1 ، ص 320 .

⁵ — البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج 7 ، ص 162 .

⁶ — ابن النديم ، الفهرست ، ص 231 .

⁷ — البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج 4 ، ص 421 .

⁸ — الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 28 .

⁹ — البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج 6 ، ص 26 .

¹⁰ — مصطفى زيد ، النسخ في القرآن الكريم ، ج 1 ، ص 322 .

¹¹ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 1 ، ص 162 .

¹² — المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 236 .

¹³ — الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاء ، ج 10 ، ص 57 .

21. كتاب معرفة الناسخ و المنسوخ : لعلي بن أحمد بن حزم الأنصاري المتوفى سنة (320 هـ).¹
22. كتاب الناسخ و المنسوخ : لمحمد بن عثمان الشيباني المعروف بالجمع المتوفى سنة (322 هـ).²
23. كتاب الناسخ و المنسوخ : لابن الأنباري المتوفى سنة (328 هـ).³
24. كتاب الناسخ و المنسوخ : لابن المنادى المتوفى سنة (336 هـ).⁴
25. كتاب الناسخ و المنسوخ في القرآن الكريم: لأبي جعفر النحاس المتوفى سنة (338 هـ).⁵
26. كتاب الناسخ و المنسوخ : لأبي بكر بن محمد بن عبد الله البردعي المعتزلي المتوفى سنة (350 هـ).⁶
27. كتاب الناسخ و المنسوخ : لأبي الحكم منذر بن سعد البلوطي الأندلسي المتوفى سنة (355 هـ).⁷
28. كتاب الناسخ و المنسوخ : لأبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي المتوفى سنة (368 هـ).⁸
29. كتاب الناسخ و المنسوخ : لأبي الحسين محمد بن محمد النيسابوري المتوفى سنة (368 هـ).⁹
30. كتاب الناسخ و المنسوخ : لمحمد بن علي بن بابويه القمي المتوفى سنة (381 هـ).¹⁰

¹ — مصطفى زيد ، النسخ في القرآن الكريم ، ج 1 ، ص 324 .

² — ابن النديم ، الفهرست ، ص 82 .

³ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 228 .

⁴ — مصطفى زيد ، النسخ في القرآن الكريم ، ج 1 ، ص 325 .

⁵ — المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 326 .

⁶ — مصطفى زيد ، النسخ في القرآن الكريم ، ج 1 ، ص 326 .

⁷ — المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 326 .

⁸ — المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 326 .

⁹ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 236 .

¹⁰ — الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاء ، ج 16 ، ص 303 .

و - علم المحكم و المتشابه:

1. كتاب متشابه القرآن : لمقاتل بن سليمان الأزدي المتوفى سنة (150 هـ).¹
 2. كتاب متشابه القرآن : لعلي بن حمزة الكسائي المتوفى سنة (187 هـ).²
 3. كتاب الرد على الملحدين في متشابه القرآن : لمحمد بن المستنير المعروف بقطرب المتوفى سنة (206 هـ).³
 4. كتاب تأويل مشكل القرآن : لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة (276 هـ).⁴
 5. كتاب توضيح المشكل في القرآن : لسعيد بن محمد الغساني بن الحداد المتوفى سنة (302 هـ).⁵
 6. كتاب متشابه القرآن : لابن المنادي المتوفى سنة (336 هـ).⁶
- ز - علم فضائل القرآن و القراءات القرآنية و عد الآي:

1. كتاب فضائل القرآن و ما نزل منه بمكة و ما نزل بالمدينة : لبني الضريس المتوفى سنة (194 هـ).⁷
2. كتاب فضائل القرآن : لمحمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة (204 هـ).⁸
3. كتاب فضائل القرآن : لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة (223 هـ).⁹
4. كتاب فضائل القرآن : لخلف بن هشام بن ثعلب المتوفى سنة (229 هـ).¹⁰

¹ - الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 330 .

² - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 404 .

³ - ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 10 ، ص 259 .

⁴ - الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 1 ، ص 251 .

⁵ - الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاء ، ج 14 ، ص 205 .

⁶ - البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج 9 ، ص 69 .

⁷ - ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج 2 ، ص 216 .

⁸ - حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج 2 ، ص 1277 .

⁹ - ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 1 ، ص 271 .

¹⁰ - الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 1 ، ص 167 .

5. كتاب فضائل القرآن : هشام بن عمار بن نصير الضفري المتوفى سنة (245 هـ).¹
6. كتاب فضائل القرآن : لحفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان المتوفى سنة (246 هـ).²
7. كتاب فضائل القرآن : ليحيى بن زكريا بن إبراهيم بن مزين المتوفى سنة (259 هـ).³
8. كتاب فضائل القرآن : لعلي بن الحسن بن فضال الشيعي المتوفى سنة (290 هـ).⁴
9. كتاب فضائل القرآن و ما جاء فيه من الفضل و في كم يقرأ و السنة في ذلك : للفريابي المتوفى سنة (301 هـ).⁵
10. كتاب فضائل القرآن : للإمام النسائي المتوفى سنة (303 هـ).⁶
11. كتاب فضائل القرآن : لابن الحداد.⁷
12. كتاب القراءات : ليحيى بن يعمر المتوفى سنة (89 هـ).⁸
13. كتاب كتاب اختيار في القراءة على مذهب العربية : لابن محيصة المتوفى سنة (123 هـ).⁹
14. كتاب اختيار القراءة : لعيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة (149 هـ).¹⁰
15. كتاب القراءات : لأبي عمرو بن العلاء المتوفى سنة (154 هـ).¹¹

¹ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 352 .

² — الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاء ، ج 11 ، ص 541 .

³ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 367 .

⁴ — المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 403 .

⁵ — الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاء ، ج 14 ، ص 96 .

⁶ — ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 11 ، ص 123 .

⁷ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 76 .

⁸ — فزاد سيزكين ، تاريخ التراث العربي ، ج 1 ، ص 22 .

⁹ — ابن النديم ، الفهرست ، ص 33 .

¹⁰ — المصدر نفسه ، ص 33 .

¹¹ — المصدر نفسه ، ص 53 .

16. كتاب القراءة: لحمزة الكوفي المتوفى سنة (156 هـ).¹
17. كتاب القراءة: لنافع المدني المتوفى سنة (169 هـ).²
18. كتاب القراءة: هشيم بن بشير المتوفى سنة (183 هـ).³
19. كتاب القراءة: لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة (224 هـ).⁴
20. كتاب القراءة: لأحمد بن جبير بن محمد الكوفي نزيل أنطاكية المتوفى سنة (258 هـ).⁵
21. كتاب القراءة: للقاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي المتوفى سنة (282 هـ).⁶
22. كتاب القراءة: لابن جرير الطبري المتوفى سنة (310 هـ).⁷
23. كتاب القراءة: لأبي بكر محمد الداجوني المتوفى سنة (324 هـ).⁸
24. كتاب القراءات السبع: لابن مجاهد المتوفى سنة (324 هـ).⁹
25. كتاب القراءات: لأحمد بن كامل بن خلف بن شجرة المتوفى سنة (355 هـ).¹⁰
26. كتاب القراءة: لأبي بكر أحمد بن نصر الشذائي المتوفى سنة (370 هـ).¹¹
27. كتاب القراءة: للحسين بن عثمان البغدادي الضرير المتوفى سنة (378 هـ) أول من نظم في القراءات

السبع.¹²

1 — فؤاد سيزكين ، تاريخ التراث العربي ، ج 1 ، ص 31 .
2 — ابن النديم ، الفهرست ، ص 31 .
3 — فؤاد سيزكين ، تاريخ التراث العربي ، ج 1 ، ص 77 .
4 — ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 1 ، ص 281 .
5 — ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج 1 ، ص 34 .
6 — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 106 .
7 — ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج 1 ، ص 34 .
8 — المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 34 .
9 — المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 34 .
10 — ابن النديم ، الفهرست ، ج 32 ، ص 48 .
11 — ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج 1 ، ص 34 .
12 — حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج 1 ، ص 1317 .

28. كتاب الشامل و الغاية: لأبي بكر بن مهران المتوفى سنة (381 هـ).¹

29. كتاب عد الآي: للحسن البصري المتوفى سنة (110 هـ).²

30. كتاب أعشار القرآن أو (عواشر القرآن) : قتادة بن دعامة السدوسي المتوفى سنة (118 هـ).³

و ظهرت مصنفات في فنون أخرى ، ففي الوقف و الابتداء كتّب ابن الأنباري المتوفى سنة (328 هـ):

إيضاح الوقف و الابتداء في كتاب الله.⁴

و في نزول القرآن كتب الضحاك بن مزاحم البلخي المتوفى سنة (105 هـ)⁵ و الحسن البصري المتوفى

سنة (110 هـ)⁶ و كتب علي بن الحسن بن فضال الكوفي المتوفى سنة (224 هـ) كتابا أسماه التزييل

في القرآن.

و في أسباب النزول كتب علي بن عبد الله المدني شيخ البخاري المتوفى سنة (234 هـ) كتابه : أسباب

النزول⁷ ، و كتب عبد الرحمن بن أصبغ (أبو المطرف) المتوفى سنة (402 هـ) كتابه : القصص و الأسباب التي

نزل بها القرآن من أجلها الكتاب.⁸

و في اختلاف المصاحف كتب يحيى بن يعمر كتابا أسماه القراءة ، جمع فيه اختلاف المصاحف المشهورة⁹

و كتّب عبد الله بن عامر اليحصبي المتوفى سنة (118 هـ) كتاب الاختلاف مصاحف الشام و الحجاز

و العراق¹ ، جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط.

¹ — ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج 1 ، ص 34.

² — فؤاد سيزكين ، تاريخ التراث العربي ، ج 1 ، ص 25 .

³ — المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 21 .

⁴ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 227 .

⁵ — فؤاد سيزكين ، تاريخ التراث العربي ، ج 1 ، ص 176 .

⁶ — المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 72 .

⁷ — الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاء ، ج 11 ، ص 41 .

⁸ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 1 ، ص 291 .

⁹ — فؤاد سيزكين ، تاريخ التراث العربي ، ج 1 ، ص 22 .

القسم الثاني:

علوم القرآن نشأة

و تطورا

الفصل الأول:

علوم القرآن بالمعنى المدون
في كتب التفسير – دراسة نموذجية –

المبحث الأول: مقدمة تفسير "جامع البيان" للطبري

المبحث الثاني: مقدمة تفسير "المحرر الوجيز" لابن عطية

المبحث الثالث: مقدمة تفسير "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي

● تمهيد :

اهتم العلماء منذ القديم بمضامين مقدمات التفسير ، فقد ضمّنها خلاصة أفكارهم ، و زبدة آرائهم حول كثير من مسائل علوم القرآن و مباحثه ، وهي آراء لم يتطرق بعضها للبحث و النقاش ، و علوم القرآن إنما يعنى بها ، و تعطي هذه المكانة الأهمية لأنها توصل إلى معرفة مراد الله تعالى من كلامه للعمل بمقتضاه ، و لكون المفسر قد طرق هذه الأبواب و أدلى بدلوه في بيان معاني الآيات ، كان من الضروري دراسة هذه المقدمات دراسة جادة و محاولة للغوص فيها لإبراز الدقائق العلمية في ثناياها و من ثم معرفة مواقف المفسرين من مسائل علوم القرآن ليتبين مدى معرفة المفسر بالعلوم المعينة على فهم كتاب الله الفهم الصحيح ، و ليتبين بالتالي مدى إصابة المفسر القول في بيان مراد الله .

و لهذه الدراسة أهمية أخرى تكمن في معرفة تطور علوم القرآن و مباحثه عند المفسرين ، و ذلك لأن المفسر قد ضمن مقدمته رأيه في بعض المسائل ، فجاء اللاحق ليتابع السابق فيما قاله و أثبته ، و ليستدرك عليه ما لم يقله مما هو مطلوب قوله ، كما يبين تأثر المفسرين بعضهم ببعض ، و غير ذلك مما يتبين منه للقارئ تطور المسائل عند المفسرين.

ثم إن المقدمات هي أول المصنّفات التي جمعت أكثر من موضوع من موضوعات علوم القرآن في موضع واحد ، فهي النواة الأولى للتصنيف الموسوعي في علوم القرآن ، و يذهب المهتمون بعلوم القرآن و أصول التفسير إلى أن أقدم من صدر تفسيره بمقدمة في علوم القرآن هو شيخ المفسرين ابن جرير الطبري المتوفى سنة (310 هـ) في كتابه " جامع البيان عن تأويل آي القرآن " ، ثم أتى بعده آخرون توسعوا في المواضيع ، و اتجهوا إلى جمع الأدلة من المفسرين المتقدمين و من أهمهم :

– أبي محمد عبد الحق ابن عطية الغرناطي المتوفى سنة (541 هـ) في مقدمة تفسير " المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز " .

- أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة (597 هـ) في مقدمة تفسير " زاد المسير في علم التفسير " .

- فخر الدين الرازي المتوفى سنة (606 هـ) في مقدمة التفسير الكبير " مفاتيح الغيب " .

- أبي محمد بن أحمد القرطبي المتوفى سنة (671 هـ) في مقدمة تفسير " الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمن من السنة و آي الفرقان " .

- أبي الحسن علي بن محمد الشيعي المعروف بالخازن المتوفى سنة (741 هـ) في مقدمة تفسير " لباب التأويل في معاني التنزيل " .

- أبي عبد الله محمد بن يوسف الغرناطي الشهير بأبي حيان المتوفى سنة (745 هـ) في مقدمة تفسير " البحر الحيط " .

- عماد الدين ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة (774 هـ) في مقدمة تفسير " القرآن العظيم " .

و من هنا يتضح لنا أنه لا بد من دراسة نموذجية لهذه التفاسير ، و قد وقع اختياري على ثلاثة مفسرين : فالطبري شيخ المفسرين و ابن عطية ذو الثقافة المغربية (الأندلسية) و القرطبي الحافظ الجامع و عليه وضعت كل واحد منهم في مبحث حسب الخطة التالية :

- تمهيد : التعريف بالمؤلف .

- التعريف بالكتاب و المقدمة .

- موضوعات علوم القرآن .

- منهجه في مقدمة التفسير .



المبحث الأول:

مقدمة تفسير "جامع البيان" للطبري

• تمهيد :

• التعريف بالمؤلف:

1- مولده و نشأته: مؤلف هذا التفسير هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي الطبري ، أبو

جعفر. ولد المفسر بآمل طبرستان سنة أربع و عشرين و مائتين ، وقيل : خمس و عشرين ، و استوطن ببغداد

إلى حين وفاته بها ، يتردد على موطنه بين فترة و أخرى.¹

عاش بن جرير حياته في عائلة ميسورة ، نشأ وترعرع في كنف والده الذي دفعه إلى التعليم منذ الصغر ،

و يسر له أسباب التلقي ، فما كاد يبلغ سن الجلوس إلى أهل العلم حتى رأته أزقة آمل متأبطا دواته وقرطاسه ،

ملتحفا بالكتاب و منتقلا من شيخ لآخر ، و من حلقة إلى أخرى ، فحفظ كتاب الله و له سبع سنين ، و صلى

بالناس و هو ابن ثمان ، و كتب الحديث و هو ابن تسع² .

و كان ابن جرير شافعيًا ثم انفرد بمذهب مستقل و له أقاويل و اختيارات، حين ملك أدوات الاجتهاد و

احتج لمذهبه و له أتباع و مقلدون.³

2- مؤلفاته :

الذي وصل إلينا من مصنفاته تؤكد أن الرجل كان عالما كاتباً ، لا يترك علماً يمكن تحصيله إلا و سعى له ،

و أعد له العدة ، حدث عن نفسه: أن رجلاً جاءه يسأله عن شيء في علم العروض و لم يكن قد نشط في هذا

العلم فقال : " إذا كان غدا تعال إلي ، قال : و طلبت سفر العروض للخليل ، فجاؤوني به ، فاستوعبته

في ليلة واحدة ، فأسميت غير عروضي ، و أصبحت عروضياً".⁴

¹ - ياقوت الحموي ، معجم الأدياء ، دار الفكر ، ط 3 ، سنة 1989 م ، ج 18 ، ص 40 .

² - المصدر نفسه ، ج 18 ، ص 49 .

³ - السيوطي جلال الدين ، طبقات المفسرين ، مطبعة الحضارة العربية ، القاهرة ، ط 1 ، سنة 1975 م ، ص 82 .

⁴ - ياقوت الحموي ، معجم الأدياء ، ج 14 ، ص 56 .

و من مؤلفاته :

- تهذيب الآثار.
- تاريخ الرجال من الصحابة و التابعين.
- لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام.
- القراءات و التريل و العدد.
- التبصرة.
- اختلاف علماء الأمصار.

3- وفاته:

توفي يرحمه الله ببغداد في شهر شوال سنة عشرة و ثلاثمائة ، يوم السبت مساء ، ودفن يوم الأحد بداره برحبة يعقوب ، و حضر وقت موته جماعة من أهل العلم فأوصاهم ، و أكثر من التشهد و ذكر الله ، وغمض بصره بيده.¹

إن ابن جرير في مقدمة تفسيره قد اهتم بالمأثور من الأحاديث و الآثار و يعد العلماء تفسيره أفضل تفسير بالمأثور، و قد وجد منها المؤلف منطلقاً فسيحاً رحباً للحديث عن علوم القرآن التي يرى أنها ضرورية للمفسر قبل الخوض في الطوال من كتب التفسير.

● التعريف بالكتاب و المقدمة:

تفسير ابن جرير " جامع البيان " يعد من أنفس الآثار في التفسير ، لكونه قد حوى إلى جانب بيان معاني الآيات علوما كثيرة أخرى ، أسس المصنف بنيانها ، و وضع اللبنة الأولى ، و ساق الروايات و الأقوال

¹ - الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاء ، ج14 ، ص 280.

بأسانيدها ، و لهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " و أما التفاسير التي في أيدي العامة فأصحها تفسير محمد

بن جرير الطبري ، فإنه يذكر مقالات السلف بأسانيد ثابتة ، و ليس فيه بدعة ، و لا ينقل عن المتهمين".¹

و قد جود ابن جرير تفسيره " تفسير القرآن " و بين في أحكامه و ناسخه و منسوخه ، و مشكله و غريبه ،

و معانيه و اختلاف أهل التأويل و العلماء في أحكامه و تأويله ، و الصحيح لديه من ذلك ، و إعراب حروفه ،

و الكلام على الملحددين فيه ، و القصص و أخبار الأمة و القيامة و غير ذلك.²

● موضوعات علوم القرآن:

فما لا شك فيه أن تفسير الطبري يعدّ من أمّهات كتب التفسير بالمأثور و الرأى المبني على القواعد

و الأصول ، وهو أمر مشاهد أيضاً في بعض أنواع علوم القرآن التي تعتبر من الاهتمامات الأولى التي عني بها

المفسرون في مقدّماتهم، و تفسيره الذي بين أيدينا يشهد على ذلك، و موضوعات علوم القرآن التي ذكرها في

مصنّفه هي كالتالي:

1- البيان على اتفاق معاني آي القرآن و معاني منطق من نزل بلسانه من وجه البيان

- قال الطبري: ".... فإذا كان تفاضل مراتب البيان و تبيان درجات الكلام بما وصفنا من قبل و كان الله

تعالى ذكره و تقدّست أسماؤه أحكم الحكماء و أحلم الحكماء كان معلوماً أنّ أبين البيان بيانه و أفضل الكلام

كلامه....."³

¹ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى ، جمع و ترتيب : عبد الرحمن بن محمد قاسم الخليلي ، توزيع رئاسة البحوث العلمية

و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد ، الرياض ، ط 1 ، سنة 1977 م ، ص 214 .

² - الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 114 .

³ - ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1403 هـ ، 1983 المجلد 1 ، ص 5.

- و قال أيضاً: ".... فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه و سلم لمعاني كلام العرب موافقة و ظاهرة لظاهر كلامها ملائماً...."¹

2- البيان عن الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب و ألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم

قال الطبري: "..... و هذا المعنى الذي قلناه في ذلك هو معنى قول من قال في القرآن من كل لسان عندنا بمعنى و الله أعلم أن فيه من كل لسان اتفق فيه لفظ العرب و لفظ غيرها من الأمم التي تنطق به نظير ما وصفنا من القول في ما مضى و ذلك أمه غير جائز أن يتوهم على ذي فطرة صحيحة مقر بكتاب الله من قد قرأ القرآن و عرف حدود الله أن يعتقد أن بعض القرآن فارسي و لا عربي و بعضه نبطي لا عربي و بعضه عربي لا فارسي و بعضه حبشي لا عربي بعدما أخبر الله تعالى ذكره عنه أنه جعل قرآنا عربياً لأن ذلك أن كان كذلك....."²

3- اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب

أ- القرآن نزل بلغة العرب:

- قال أبو جعفر: "قد دللنا على صحة القول بما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه أن الله جل ثناؤه أنزل جميع القرآن بلسان العرب دون غيرها من ألسن سائر أجناس الأمم و على فساد قول من زعم أن منه ما ليس بلسان العرب و لغتها فيقول الآن إذا كان ذلك صحيحاً في الدلالة عليه بأيّ ألسن العرب أنزل بألسن جميعها أم بألسن بعضها إذ كانت العرب و أن جمع جميعها اسم أقم عرب فهم مختلفوا الألسن بالبيان متباينوا المنطق و الكلام..."³

¹ - ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد 1، ج 1 ص 06 .

² - المصدر نفسه، المجلد 1، ج 1، ص 08.

³ - المصدر نفسه، المجلد 1، ج 1، ص 09.

ب- القرآن أنزل على سبعة أحرف:

قال الطبري حدثنا محمد بن مرزوق قل حدثنا أبو الوليد قال حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن أنس بن مالك عن عبادة بن الصامت عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " أنزل القرآن على سبعة أحرف"¹

- حدثنا أبو كريب قال حدثنا حسين بن علي و أبو أسامة عن زائدة عن عاصم عن زر عن أبي قال لقي رسول الله صلى الله عليه و سلم جبريل فليقرؤوا القرآن على سبعة أحرف و لفظ الحديث لأبي أسامة.²

4- البيان عن معنى قول الرسول صلى الله عليه و سلم أنزل القرآن من سبعة أبواب الجنة و ذكر الأخبار المروية بذلك.

قال أبو جعفر اختلفت النقلة في ألفاظ الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فروى عن ابن مسعود عن النبس صلى الله عليه و سلم أنه قال كان الكتاب الأوّل نزل من باب واحد و على حرف واحد و نزل القرآن من سبعة أبواب و على سبعة أحرف زجر و أمر و حلال و حرام و محكم و متشابه و أمثال فأحلّوا حلاله و حرّموا حرامه و أفعلوا ما أمرتم به و انتهوا عمّا نهيتم عنه و اعتبروا بأمثاله و أعملوا بمحكمه و آمنوا بمتشابهه و قولوا آمنا به كلّ من عند ربنا.³

5- الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن

قال الطبري: "... فقد تبين بيان الله جلّ ذكره أنّ ما أنزله الله من القرآن عليّ نبيّه صلى الله عليه و سلم ما لا يوصل إلى علم تأويله إلاّ ببيان الرسول صلى الله عليه و سلم و ذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره

¹ - رواه مسلم ، صحيح مسلم (م202/2) عن مختصر صحيح مسلم، زكي الدين عبد العليم المنذري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط1 ، قصر الكتاب ، البليدة ، سنة 1411 هـ، ص 577.

² - المصدر نفسه ، ص 557.

³ - ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد 1، ج 1، ص 9.

واجبه و ندبه و إرشاده و صنوف فيه و وظائف حقوقه و حدوده و مبالغ فرائضه و مقادير اللآزم بعض خلقه لبعض و ما أشبه ذلك من أحكام آيه التي لم يدرك علمها إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه و سلم لأمته...¹

6- ذكر بعض الأخبار التي رويت بالتهي عن القول في تأويل القرآن بالرأي

قال الطبري حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي قال حدثنا شريك عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار".²

و حدثنا أبو كريب قال حدثنا محمد بن بشر و قبيصة عن سفيان عن عبد الأعلى قال حدثنا سعيد بن جبير عن

ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار".³

7- ذكر بعض الأخبار التي رويت في الخصّ على العلم بتفسير القرآن ومن كان يفسره من الصحابة

قال الطبري حدثنا أبو كريب قال حدثنا جابر بن نوح قال حدثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق قال قال

عبد الله و الذي لا إله غيره ما أنزلت آية في كتاب الله إلا و أنا أعلم فيما نزلت و أين أنزلت و لو أعلم مكان

أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته.⁴

و حدثنا أبو كريب قال حدثنا ابن إدريس قال سمعت الأعمش عن شقيق قال شهدت ابن عباس و ولي الموسم

فقرأ سورة النور على المنبر و فسرها لو سمعت الروم لأسلمت.⁵

¹ - ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد 1، ج 1، ص 25 - 26.

² - رواه البخاري، صحيح البخاري، عن جواهر البخاري، مصطفى محمد عمارة، مكتبة الشركة الجزائرية، ص 68.

³ - المصدر نفسه، ص 68.

⁴ - ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد 1، ص 28.

⁵ - المصدر نفسه، المجلد 1، ص 28.

8- ذكر بعض الأخبار التي غلط في تأويلها منكرها القول في تأويل القرآن

قال الطبري حدثنا محمد بن المثني قال حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال لا تسألني عن آية من القرآن و سل من يزعم أنه لا يخفى عليه شيء منه يعني عكرمة.¹

و حدثنا ابن المثني قال حدثنا سعيد بن عامر عن شعبة عن عبد الله بن أبي السفر قال قال الشعبي و الله ما من آية إلا قد سألت عنها و لكنها الرواية عن الله.²

9- ذكر الأخبار عن بعض السلف فيمن كان من قدماء المفسرين محموداً علمه بالتفسير و من كان منهم مذموماً علمه بذلك.

قال الطبري حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا وكيع قال حدثنا سفيان عن سليمان عن مسلم قال قال عبد الله بن جرير قال قال ابن عباس.³

و قال حدثني سليمان بن الجبار قال حدثنا علي بن حكيم الأودي قال حدثنا عبد الله بن بكير عن صالح بن مسلم قال مر الشعبي على السدي و هو يفسر فقال لأن يضرب على أستاذك بالطبل خير لك من مجلسك هذا.⁴

¹ - ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد 1، ج 1، ص 29.

² - المصدر نفسه، المجلد 1، ص 29.

³ - المصدر نفسه، المجلد 1، ص 31.

⁴ - المصدر نفسه، المجلد 1، ص 31.

10- تأويل أسماء القرآن و سورته و آيه

أ- تأويل أسماء القرآن:

قال الطبري: "... ومنهن الفرقان قال جل ثناؤه في وحيه إلى نبيه صلى الله عليه و سلم يسميه بذلك: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا»¹ و منهن الكتاب قال تبارك اسمه في تسميته إياه به: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا»² و منهن الذِّكْر قال تعالى في تسميته به: «إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»³ و لكل اسم من أسمائه الأربعة في كلام العرب معنى و وجه غير معنى الآخر و وجهه فأما القرآن فإنّ المفسرين اختلفوا في تأويله و الواجب أن يكون تأويله على قول ابن عباس من التلاوة و القراءة و أن يكون مصدرا من قول القائل قرأت القرآن...⁴

ب- تأويل سورة:

قال أبو جعفر ثم تسمى كل سورة من سور القرآن سورة و تجمع سورا على تقدير خطبة و خطب و غرفة و غرف و السورة بغير همز المتزلة من منازل الارتفاع و من ذلك سور المدينة، سمي بذلك الحائط الذي يحويها لارتفاعه على ما يحويه غير أن السورة من سور المدينة لم يسمع في جمعها سور كما سمع في جمع سور من القرآن سور...⁵

¹ - سورة الفرقان، الآية 1.

² - سورة الكهف، الآية 1.

³ - سورة الحجر، الآية 9.

⁴ - ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد 1، ص32.

⁵ - المصدر نفسه، المجلد 1، ج 1، ص35.

ج- تأويل آية:

- و أما الآية من آي القرآن فإنها تحتمل وجهين في كلام العرب أحدهما أن تكون سميت آية لأنها علامة يعرف بها تمام ما قبلها و ابتداؤها كالأية التي تكون دلالة على الشيء يستدل بها عليه كقول الشاعر:

ألكني إليها عمرك يا فتى
بآية ما جاءت إلينا قناديا¹

11- تأويل أسماء فاتحة الكتاب

قال أبو جعفر صحّ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم بما حدّثني به يونس بن عبد الأعلى قال حدّثنا ابن وهب قال أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال هي أمّ القرآن و هي فاتحة الكتاب و هي السبع المثاني فهذه أسماء فاتحة الكتاب لأنها يفتح بكتابها المصحف و سميت أمّ القرآن لتقدّمها على سائر سور القرآن و تأخرت سواها خلفها في القراءة و الكتابة....²

12- القول في تأويل الاستعاذة

قال الطبري: حدّثنا أبو كريب قال حدّثنا ابن سعيد قال حدّثنا بشر بن عمارة قال حدّثنا أبو روق عن الضحاک عن عبد الله بن عباس قال أوّل من نزل جبريل على محمد قال يا محمد قل استعذ بالسميع العلي من الشيطان الرجيم ثم قال قل باسم الله الرحمن الرحيم ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق قال عبد الله و هي أوّل سورة أنزلها على محمد بلسان جبريل فأمره أن يتعوذ بالله دون خلقه....³

13- القول في تأويل باسم الله الرحمن الرحيم

قال الطبري: حدّثنا أبو كريب قال حدّثنا عثمان بن سعيد قال حدّثنا بشر بن عمارة قال حدّثنا أبو روق عن الضحاک عن عبد الله بن عباس قال أوّل من نزل جبريل على محمد قال يا محمد قل استعذ بالسميع العلي من

¹ - ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد 1، ج 1، ص 36.

² - المصدر نفسه، المجلد 1، ج 1، ص 36.

³ - المصدر نفسه، المجلد 1، ج 1، ص 38.

الشیطان الرحیم ثم قال قل باسم الله الرحمن الرحیم قال ابن عباس باسم الله الرحمن الرحیم يقول جبریل یسا

محمد اقرأ بذكر الله ربك و قم و اقعء بذكر الله و هذا التأویل من ابن عباس....¹

• منهج الطبري في مقدمة تفسيره:

أوضح ابن جرير السمات الأساسية لمنهجه حيث ذكر في مقدمته أنه مقبل على إنشاء كتاب شرح القرآن و تأويله ، و بيان معانيه ، مبينا أن منهجه فيه هو بيان ما اتفق عليه العلماء و ما اختلفوا فيه و ذكر أدلة كل مذهب مع بيان الصحيح منه و السقيم ، بعبارة موجزة ، و اختصار غير محل.²

و هو نهج قوي ، هذا و قد جاءت مقدمة الطبري بمقدماته العشر ، كمقدمة واحدة ، و هو أمر أراد المصنف ، فقد ربط كل مقدمة بالتي قبلها ، و وصلها بالتي تليها ، و على المتقدم بنى المتأخر ، و هو نهج اتبعه بن جرير - يرحمه الله - حتى ضمن النوع الواحد ، فإن انتصر لفكرة أو رأي ، سعى لإثبات ذلك منطقياً ، ينطلق من أمر هو من البديهيات ، ثم يتدرج في الجزئيات ، كل جزئية تكون نتيجة للتي قبلها ، حتى إذا اكتمل العقد صرح المصنف بمراده ، و أظهر ما أضمره و يريد لإثباته ، و يمكن ضرب المثل على هذا المنهج بالمقدمة الأولى.³ في قوله مثلاً: " فلا شك أنّ أعلى منازل البيان درجة و أسنى مراتبه مرتبه أبلغه في حاجة المبين عن نفسه... فإذا كان تفاضل مراتب البيان و تباين منازل درجات الكلام بما وصفنا قبل و كان الله جلّ ذكره و تقدست أسماؤه... كان معلوماً أنّ أبين البيان بيانه و أفضل الكلام كلامه...."⁴

فلكي يثبت المؤلف أن القرآن الكريم نزل على أساليب كلام العرب و معانيها ، بين أولاً أن من أعظم نعم الله فقال: " إنّ من عظيم نعم الله على عباده و جسيم منته على خلقهم من فضل البيان الذي بين به عن ضمائر صدورهم...."⁵ على عباده ما منحهم من فضل البيان الذي به يعبرون عن ما في صدورهم، و أنهم في

¹ - ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد 1، ج 1، ص 40.

² - محمد صفاء شيخ إبراهيم حقّي، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، مؤسسة الرسالة، مجلد 1، ص 291.

³ - المرجع نفسه، ص 291.

⁴ - ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مجلد 1، ص 4 و ص 5.

⁵ - المصدر نفسه، ص 5.

هذا البيان متفاوت ما بين خطيب مسهب و عي لا يبين ، و أن أعلى مراتب البيان أبينه عن مراد قائله ، و ابلغه عن حاجة المبين عن نفسه ، و أقربه إلى فهم سامعه ، فإن تجاوز هذا المقدار ، و عجز أن يأتي بمثله العباد كان حجة و علماً للرسول.¹

و على ذلك بين أن القرآن هو في أعلى درجات البيان لأنه تعالى تحدى به قوما كانوا رؤساء الفصاحة ، و قيل : الشعر و السجع و الكهانة ، فأقروا بالعجز و أذعنوا بالتصديق ، فكان فضل كلام الله على كلام غيره كفضله جل و علا على عباده.

و إذا كان الأمر كذلك ، فإن من خاطب غيره بما لا يفهم لم يكن مبيناً عن نفسه و عليه بنى المصنف استحالة مخاطبة الله جل و علا أحداً ، من خلقه بما لا يفهم ، أو إرساله رسولا لقوم لا يفهمون خطابه ، إذ إن ذلك لا يوجب فائدة ، و على ذلك فكل رسول أرسل بلسان قومه و كل كتاب أنزل بلسان من نزل عليه ، و عليه فالقرآن الكريم نزل بلسان محمد صلى الله عليه و سلم فبين أن القرآن عربي.²

و يستوجب ذلك أن تكون معاني كتاب الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه و سلم لمعاني كلام العرب موافقة ، و ظاهره لظاهر كلامهم ملائم.

و لطول باع بن جرير و تمكنه في فنون العلم المتنوعة ، فإن كل ما بجليه يؤيده بالأدلة و الحجج ، فيستشهد بالآيات و الأحاديث و الآثار و اللغة و الشعر ، فإن كانت طويلة أو عديدة أحال القارئ إلى موطنها من صلب التفسير ، أو اعتذر عن ذكرها خشية الإطالة و السآمة ، مصرحاً بذلك من حين لآخر.

يبدأ ابن جرير حديثه عن الموضوع الذي هو بصدد بيان القول فيه بذكر الروايات و الآثار و على سبيل المثال يستهل موضوعه الثاني من المقدمة يذكر الرواية فيقول: ".... فما أنت قائل فيما حدثكم به محمد بن حميد الرّازي قال: حدثنا عنبسة عن أبي اسحاق عن أبي الأحوص عن أبي موسى: يؤتكم كفلين من رحمته قال:

¹ - محمد صفاء شيخ إبراهيم حقّي، علوم القرآن من خلال مقدمات التفسير ، ص 292.

² - المرجع نفسه ، ص 292.

الكقلان: ضعفان من الأجر بلسان الحبشة...." ¹ ، ثم يعقب بالناقشات و بيان الآراء و الاتجاهات ، ثم الرد

على المخالفين. ²

و لعل أظهر سمة لمنهج ابن جرير في مقدمته هو ما عمد إليه في عرض الموضوعات و المناقشات بأسلوب علمي هادئ يكفي القارئ مؤنة السؤال و الإستفسار ، فللوصول إلى بيان الفكرة التي يريد إثباتها ، يطرح المصنف سؤالاً على لسان قائل ، ثم يجيب عنه أو يورد معضلة أو إشكالا يعقبه بالتوضيح المدعوم بالأدلة، و هذا الفن هو ما يسمى بفن (الفنقلة) أي (قيلقلت) ، وهو أسلوب جيد يربط القارئ بالنص و يشده إليه ، و يبعد عنه السامة و الملل يلجأ إليه كثيرون في حل المسائل العويصة و الطويلة المملة. ³ فيقول مثلاً: " فإن قال لنا قائل فهل لك من علم بالألسن السبعة.... قلنا أما الألسن الستة التي قد نزلت القراءة فيها فلا حاجة بنا إلى معرفتها...." ⁴ و هكذا.

و من منهج ابن جرير يرحمه الله يضيف إلى أدلته التقلية أدلة عقلية قوية ، فيجمع بذلك بين العقل و النقل في مناقشاته و هو منهج قويم يزيد القارئ قناعة ، و يلزم على الصنفين فهجه إن كان الموضوع محلاً لذلك ، و إلا بقي في نفس القارئ ما قد يضعف الاقتناع ، و الأمثلة على هذا المنهج عديدة.

و الملاحظ في منهج المصنف أنه لا يعين القائل عند ذكره لأقوال ، و لا ينسب الآراء أثناء مناقشاته ، بل يكتفي بقوله : فإن قال لنا قائل . أو بقوله : قال بعض من خفت معرفته . أو قوله : قال جماعة . إلى غير

ذلك من العبارات التي لا تبين القائل. ⁵

¹ - ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد 1، ج 1 ص 9.

² - محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، ص 293.

³ - المرجع نفسه ، ص 293.

⁴ - ابن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مجلد 1 ص 23.

⁵ - محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، ص 292.

و خلاصة القول قدم الطبري لتفسيره الكبير " جامع البيان " بمقدمة بلغت (35) صفحة ، ضمنها ما يراه

متعلقاً بالتفسير من علوم القرآن ، و قد ذكر منها تسعة أنواع ، و هي الآتية :

1. إعجاز القرآن البياني (في صفتين).

2. المعرب في القرآن (في 03 صفحات).

3. الأحرف السبعة (في 15 صفحة).

4. القراءات (في صفحة واحدة).

5. جمع القرآن (في 03 صفحات).

6. تفسير القرآن (في 07 صفحات).

7. طبقات المفسرين من الصحابة و التابعين (في 04 صفحات).

8. أسماء القرآن و صورته (في صفتين).

9. ترتيب سوره و آياته (في صفحة واحدة).

و هو يعرض لكل علم بإيجاز فيذكر أهميته و علاقته بعلم التفسير ، و يذكر أقوال العلماء المتقدمين فيه و

يناقش آراءهم ، و يذكر الروايات المسندة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و عن الصحابة و التابعين فيه

ثم ينتقل لغيره و لا نشك في أنه استفاد في كل نوع مما كتب السابقون مفرداً في تصانيفهم.¹

¹ — الزركشي بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن ، ص 55.

المبحث الثاني:

مقدمة تفسير "المحرر الوجيز في تفسير
الكتاب العزيز" لابن عطية الأندلسي

● تمهيد:● التعريف بالمؤلف:1- مولده و نشأته :

مصنف هذا التفسير الجليل هو القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية المحاربي الداخل ، المولود سنة 481 هـ و ينحدر رحمه الله من سلالى عربية أصيلة ، فقد كان جدهم جنديا من جنود الفتح الإسلامي للأندلس و هو عطية بن خالد بن خفاف المحاربي ، نازل قرية (قشتالة)¹.

نشأ ابن عطية في كنف أبيه ، و تربى منذ الصغر على تعاليمه و توجيهاته ، محيطا بعنايته ، و فر له رحمه الله أسباب الراحة ، و يسر له النجاح ، فاجتمعت الرعاية الحسنة و صدق التوجيه و قوة العزيمة ، مع سلاله الأرومة ، حتى سعى لطلب العلم منذ اليفاة و لازمه هذا الطموح حتى برزت مواهبه ، و غدا شخصية علمية يشار إليها بالبنان ، فكان رحمه الله يتوقد ذكاء ، سابق الأجداد فاستولى على الأمد بغلابة ، و لم ينض ثوب شبابه ، أدمن التعب في السؤدد جاهدا حتى تناول الكواكب قاعدا².

و لقد كان ابن عطية رحمه الله فقيها عالما بالتفسير و الأحكام ، محدثا عالي السند ، لغويا عارفا بالنحو و الأدب ، مقيدا حسن التقييد ، له نظم رائع ، و نثر محكم رصين ، ولي القضاء بالمرية ، فكان غاية في الدهاء و الذكاء ، و التهمم بالعلم سرى الهمة في اقتناء الكتب³.

¹ — الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق: محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط 1 ، سنة 1972 م ،

مجلد 1 ، ص 133 .

² — المصدر نفسه ، مجلد 1 ، ص 134 .

³ — المصدر نفسه ج 3 ، ص 539 .

كان رحمه الله من الرجال البارزين الذين أسهموا إسهاما فعالا في نشر العلم في ديار الأندلس حتى قال عنه

السيوطي: " هو الإمام الكبير ، قدوة المفسرين " ¹.

وكثيرون بلا شك تلقوا العلم عن المؤلف ، منهم المواظبون على مدرسة أبيه - رحمه الله - حيث تلقوا عنه أمدا من الزمن ، و منهم الذين شاركوا ابن عطية في ساحات الجهاد ، و أسفار الغزو ، كما أن الأمراء الذين عرفوا قدره و كانوا محبين للعلم سمعوا منه ، و من هؤلاء : الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي ، و الإمام الحافظ أبو لقاسم عبد الرحمن بن محمد الأنصاري و غيرهم. ²

2- مؤلفاته:

إن الناظر في ترجمة ابن عطية على مؤلف له غير التفسير الذي بين أيدينا الذي أفنى فيه العمر، و كانت حصيلة جهده و اجتهاده كما يجد القارئ أن المترجمين يذكرون للمصنف فهرساً أثبت فيه أسماء شيوخه الذين تلقى العلم عنهم و قد بلغ عددهم ثلاثون شيخاً... ³

3- وفاته:

لقد اختلف في تحديد وفاة ابن عطية و الراجح أنه توفي سنة 547 هـ في منتصف شهر رمضان المبارك في مدينة (لورقة) غرب مرسية ، و قد بلغ ستين عاما ، رحمه الله رحمة واسعة ، و غفر الله لنا وله. ⁴

إن تفسير ابن عطية كان و لا يزال محل عناية المفسرين و المهتمين بعلوم القرآن و ذلك لأهمية ما أثبتته من علوم القرآن و التفسير في مقدمته فقد قسّمها إلى تسعة أبواب إضافة إلى التقديم الذي بين فيه أهمية علم التفسير و الأسباب الداعية إلى التأليف و المنهج المتبع في ذلك.

¹ — السيوطي جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي مصر ، ط 1،

سنة 1964 م ، ص 295.

² — المصدر نفسه، ص 296 .

³ — محمد صفاء شيخ إبراهيم حقّي، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير ، ص 368.

⁴ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ص 265.

● التعريف بالكتاب و المقدمة :

لم يحظ تفسير ابن عطية بالاهتمام المطلوب من أهل عصرنا حيث تأخر ظهوره مطبوعا عن تفاسير كثيرة لا تدانيه مرتبة ، و لا تقربه منزلة ، بل اعتمد كثير منهم على ابن عطية و آرائه في قضايا مشكلة في التفسير ، مع أن جل العلماء المعبرين قد أشادوا بهذا التفسير و بمصنفه ، قديما و حديثا.¹

و القارئ في تفسير ابن عطية يستشعر أمرين ربما امتاز بهما المصنف عن غيره ممن سبقوه ، أكسب التفسير قوة و حظوة ، أولهما ما يلاحظه القارئ من العناية الفائقة بالتحقيق و التدقيق في المسائل العلمية ، و تحري ما هو أقرب إلى الصواب و أبعد عن البدع ، إضافة إلى النفس الطويل الذي يظهر بوضوح في معالجته للنصوص المشككة و المسائل المعضلة.²

و الأمر الآخر الملاحظ في هذا التفسير هو قوة البيان و سلامة العبارة و سلاستها ، و النصوص الأدبية المحبوكة كأفضل ما يكون ، و المنسجة بقوة ، و هي كلها أعطت لهذا التفسير قدرا خاصا عند المشتغلين باللغة ، و ربما يعود سبب هذا التفوق إلى سليقته الصافية حتى فاض بيانه قويا سائغا سلسلا.³

و قد سار المؤلف في تفسيره على منهج السلف حيث جعل ظاهر الآيات هو مدار البحث و الدرس ، دون القول بالرمز و الإشارة ، الذي يلجأ إليه أهل الزيغ و الضلالة.

و قال أبو حيان عنه و عن تفسير الزمخشري: "أفهما قد أنجدا و أغارا ، و أشرقا في سماء هذا العلم بدرين و أنارا ، و تتلا من كتب التفسير منزلة الإنسان من العين و الذهب الابريزي من العين..." إلى أن قال : " و كتاب ابن عطية أنقل و أجمع و أخلص".⁴

¹ — محمد صفاء شيخ إبراهيم حقّي، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير ، ص 292.

² — المرجع نفسه ، ص 370.

³ — ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، 1975 م ، ص 11 .

⁴ — ابن حيان بن يوسف الأندلسي ، البحر المحيط ، العشا حسونة، دار الفكر ، بيروت، لبنان، سنة 1991م، مجلد 1 ، ص 20 .

هذا وقد كان لإخلاص ابن عطية ، و الغاية التي لها صنف كتابه ، أثره البالغ في انتشاره ، و قبوله عند الخاصة من أهل العلم ، حتى صار أصدق شاهد على إمامته فحين ذكر المصنف الغاية التي لها صنف قال: " و رجوت أن الله تعالى يحرم على النار فكراً عمرته - أكثر عمره - معانيه ، و لساناً مرناً على آياته و مثانيه ، و نفساً ميزت براعة رصفه و مبانيه.¹

و جاء اهتمام المصنف باللغة و القضايا اللغوية في المرتبة الأولى ، فقد أولى هذا الجانب اهتماماً خاصاً ، تمثل في شرح المفردات القرآنية و الآراء النحوية و قصد تتبع الألفاظ حتى لا يقع طفر كما في كثير من المفسرين . كما اهتم المصنف بالقراءات القرآنية ، حتى الشاذة منها ، يوجهها أو ينقدها و قصد إيراد جميع القراءات ، مستعملها و شاذها.²

• موضوعات علوم القرآن:

تناول ابن عطية الأندلسي في مقدمة تفسيره إحدى عشر باباً ، إضافة إلى التقديم الذي بين فيه أهمية علم التفسير ، و الأسباب الداعية للتصنيف ، و المنهج المتبع في التأليف ، و هذه الأبواب نستشف من خلالها أنواعاً من علوم القرآن هي كالتالي :

1- فضل القرآن:

أ- ما ورد عن النبي صلى الله عليه و سلم في فضل القرآن:

- قال عليه السلام: " أتلوا هذا القرآن، فإن الله يأجركم بالحرف منه عشر حسنات، أما أني لا أقول

(ألم) حرف و لكن الألف حرف، و اللام حرف و الميم حرف".³

- ورد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: " أشرف أمتي جملة القرآن".⁴

¹ - ابن عطية الأندلسي ، الخمر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، مجلد 1 ، ص 9 .

² - المصدر نفسه ، مجلد 1 ، ص 11 .

³ - المصدر نفسه ، مجلد 1 ، ص 07 .

⁴ - المصدر نفسه ، مجلد 1 ، ص 08 .

ب- ما ورد عن الصحابة في فضل القرآن:

- قال عبد الله بن مسعود: " أن كل مؤدب يجب أن يؤتى أدبه، و إن أدب الله القرآن".¹

- قال عبد الله بن عمرو بن العاص: " من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه، إلا أنه

لا يوحى إليه".²

ج- ما ورد عن نبهاء العلماء في فضل القرآن:

قال محمد بن كعب القرظي في قول الله تعالى: «رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ»³ قال: هو

القرآن، ليس كلهم رأي النبي صلى الله عليه و سلم.⁴

- قرأ رجل القرآن على بعض العلماء و قال: فلما ختمته أردت الرجوع من أوله فقال لي: اتخذت القرآن

على عمل اذهب فاقرأه على الله تعالى في ليلك و انظر ماذا يفهمك منه فاعمل به.⁵

2- تفسير القرآن و الكلام على لغته و النظر في إعرابه:

أ- تفسير القرآن و الكلام على لغته:

- قال إياس بن معاوية: مثل الذين يقرؤون القرآن و هم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من

ملكهم ليلاً و ليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة لا يدرون ما في الكتاب، و مثل الذي يعرف التفسير

كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما في الكتاب.⁶

- قال مجاهد: "أحب الخلق إلى الله أعلمهم بما أنزل".⁷

¹ - الحديث أخرجه الترمذي بلفظ ليس من مؤدب إلا و هو يجب أن يؤتى اسمه و أن أدب الله القرآن، المحرر الوجيز لابن عطية، ص 09.

² - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص 09.

³ - سورة آل عمران، الآية 193

⁴ - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص 09.

⁵ - المصدر نفسه، ج 1، ص 13.

⁶ - المصدر نفسه، ج 1، ص 15.

⁷ - المصدر نفسه، ج 1، ص 15.

ب- النظر في إرعاب القرآن و دقائق معانيه:

- قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " أعربوا القرآن و التمسوا غرائبه فإنّ الله يحب أن يعرب".¹

- و قال صلى الله عليه و سلم: " لا يفقه الرجل كلّ الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة".²

3- تفسير القرآن، و الجرأة عليه، و مراتب المفسرين:

أ- تفسير القرآن:

- روي عن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: " ما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يفسّر من كتاب الله

إلاّ آي بعدد علمه إياهن جبريل".³

ب- الجرأة على القرآن:

- يروي أنّ الرسول صلى الله عليه و سلم قال: " من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد اخطأ".⁴

ج- مراتب المفسرين:

فأمّا صدر المفسرين و المؤيد فيهم فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، و يتلوه عبد الله بن العباس - رضي الله

عنهما- و هو تجرد للأمر و كمله و تتبعه، و تبعه العلماء عليه، كمجاهد، و سعيد بن جبير، و غيرهما،

و المحفوظ عنه في ذلك أكثر من المخطوط عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.⁵

¹ - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 1، ص 14.

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 15.

³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 17.

⁴ - المصدر نفسه، ج 1، ص 17.

⁵ - المصدر نفسه، ج 1، ص 18.

4- الأحرف السبعة:

أ- اختلاف الناس في معنى الأحرف السبعة:

- قال ابن عطية: " اختلف الناس في معنى هذا الحديث اختلافاً شديداً، فذهب فريق من العلماء إلى أن تلك الحروف السبعة هي فيما يتفق أن يقال على سبعة أوجه فما دونها، كنعال و أقبل، و إليّ و نحوي، و قصدي، و أقرب و جيء، و كاللغات التي في أف و كالحروف التي في كتاب الله فيها قراءات كثيرة، و هذا القول ضعيف.¹

- قال القاضي أبو محمد عبد الحق - رضي الله عنه - و هذا الكلام محتمل و قال فريق من العلماء: " أن المراد بالسبعة الأحرف معاني كتاب الله تعالى، و هي أمر، و نهي، و وعد، و وعيد، و قصص، و مجادلة، و أمثال و هذا أيضا ضعيف لأن هذه لا تسمى أحرفاً و أيضاً فالإجماع أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال، و لا في تحليل حرام، و لا في تغيير شيء من المعاني المذكورة"²

ب- القرآن نزل على سبع لغات:

فكان القاضي رحمه الله إنما أبطل أن يكون النبي صلى الله عليه و سلم قصد في قوله على سبعة أحرف عدد اللغات التي تختلف بجملتها و أن تكون سبعة متباينة لسبع قبائل تقرأ كل قبيلة القرآن كله بحرفها و لا تدخل عليها لغة غيرها، بل قصد النبي صلى الله عليه و سلم - عنده - عدد الوجوه و الطرائق المختلفة في كتاب الله مرّة من جهة لغة و مرّة من جهة إعراب، و غير ذلك، و لا مرية أن هذه الوجوه و الطرائق إنما اختلفت لاختلاف العبارات بسبب الجملة التي نزل القرآن بلسانها و ذلك يقال فيه اختلاف اللغات.³

¹ - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 1، ص 21.

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 21 و 22.

³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 26.

ج- موافقة القراءات السبع لمصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه:

- ثم إنَّ القراء في الأمصار تبعوا ما روي لهم من اختلافات لاسيما فيما وافق خطَّ المصحف، فقرؤوا بذلك حسب اجتهادهم، فلذلك ترتب أمر القراء السبعة وغيرهم - رحمهم الله - ومضت الإحصار و الأمصار على قراء السبعة و بها يصلى لألها ثبتت بالإجماع.¹

د- القراءة الشاذة:

و أما شاذ القراءات فلا يصلى به لأنه لم يجمع الناس عليه، أما المروي منه عن الصحابة رضي الله عنهم و عن العلماء التابعين لا يعتقد فيه إلا أنهم روه.²

5- جمع القرآن و شكله و نقطه و تحزيبه و تعشيره:

أ- جمع القرآن:

قال بن عطية: كان القرآن في مدة الرسول صلى الله عليه و سلم متفرقا في صدور الرجال و قد كتب الناس منه في صحف، و في جريد، و ظرر و في لخاف و في خزف و غير ذلك، فلما استحر القتل بالقراء يوم اليمامة أثار عمر بن الخطاب علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - لجمع القرآن مخافة أن يموت أشياخ القراءة كأبي و ابن مسعود فيذهب، فندبا إلى ذلك زيد بن ثابت فجمعه غير مرتب السور بعد تعب شديد منه رضي الله عنه.³

¹ - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 1، ص 32.

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 32.

³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 33.

ب- جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه:

قال ابن عطية: فلما قدم حذيفة من غزوة أرمينية حسبما قد ذكرناه انتدب عثمان لجمع المصحف و أمر زيد بن ثابت بجمعه، و قرن يزيد فيما ذكر البخاري ثلاثة من قريش: سعيد بن العاصي و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام و عبد الله بن الزبير و كذلك ذكر الترمذي و غيرهما.¹

ج- شكل المصحف و نقطه و تحزيبه:

.... و أسند الزبيدي في كتاب الطبقات إلى المبرد إلى أن أول من نقط المصحف أبو الأسود السدولي و ذكر أيضاً ابن سيرين كان له مصحف نقطه له يحيى ابن يعمر، و ذكر أبو الفرج أن زياد بن أبي سفيان أمر أبا الأسود بنقط المصاحف.²

د- تحزيب القرآن و تعشيره:

و أما شكل المصحف و نقطه فروي أن عبد الملك بن مروان أعربه و عمله فتجرد لذلك الحجاج بواسط و جدّ فيه و زاد تحزيبه و أمر و هو والي العراق الحسن و يحيى بن يعمر بذلك.³

و أما وضع الأعراس فيه فمرّ بي في بعض التواريخ أن المأمون العباسي أمر بذلك و قيل أن الحجاج فعل ذلك.⁴

¹ - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 1، ص 34.

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 35.

³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 35.

⁴ - المصدر نفسه، ج 1، ص 35.

6- الألفاظ العجمية عربها القرآن:

أ- ما ورد من لغة العجم في القرآن:

.... و ذلك مثل قول الله تعالى: «إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ»¹. قال ابن عباس: نشأ بلغة الحبشة قام من الليل، و منهقوله «يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ»². قال أبو موسى الأشعري: كفلان ضعفان من الأجر بلغة الحبشةو كذلك قال ابن عباس في القسورة أنها الأسد بلغة الحبشة إلى غير هذا من الأمثلة.³

ب- الألفاظ العجمية عربها القرآن:

قال لقاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه و الذي أقوله أن القاعدة و العقيدة هي أن القرآن نزل بلسان

عربي مبين، فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها إلا من لسان آخر... و على هذا الحد

نزل بها القرآن.⁴

7- إعجاز القرآن:

أ- اختلاف الناس في إعجاز القرآن:

قال ابن عطية: اختلف الناس في اعجاز القرآن بمن هو؟ فقال قوم: " إن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو

صفة الذات، و أن العرب كلفت بذلك ما لا يطاق، و فيه وقع عجزها". و قال قوم: " إن التحدي وقع بما في

كتاب الله تعالى من الأنباء الصادقة، و الغيوب المسرودة".⁵

ب- القرآن يتحدى العرب بإعجازه:

1 - سورة المزمل، الآية 06.

2 - سورة الحديد، الآية 28.

3 - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 1، ص 36.

4 - المصدر نفسه، ج 1، ص 37.

5 - المصدر نفسه، ج 1، ص 38.

قال بن عطية: فصورة قيام الحجة بالقرآن على العرب إنه لما جاء محمد صلى الله عليه وسلم به وقال: "فاتوا بسورة من مثله" قال كل فصيح في نفسه: وما بال هذا الكلام حتى لا آتي بمثله؟ فلما تأمله وتدبره، ميز منه ما ميز الوليد بن المغيرة حيث قال: "والله ما هو بالشعر ولا هو بالكهانة ولا بالجنون" و عرف كل فصيح بينه وبين نفسه أنه لا يقدر بشر على مثله، فصح أنه من عند الله.¹

8- الإيجاز في القرآن:

القصص من الإيجاز:

قال بن عطية: اعلم أن القصص إلى إيجاز العبارة قد يسوق المتكلم في التفسير إلى أن يقول خاطب الله بهذه الآية المؤمنين و شرف الله بالذكر الرجل المؤمن من آل فرعون، و حكى الله تعالى عن أم موسى أنها قالت: «قصيه» و وقف الله ذرية آدم على ربوبيته بقوله: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ» و نحو من إسناد أفعال إلى الله تعالى لم يأت إسنادها بتوفيق من الشرع.²

9- أسماء القرآن و السورة و الآية:

أ- تفسير أسماء القرآن:

قال بن عطية: هو القرآن، و هو الكتاب، و هو الفرقان، و هو الذكر، فالفرقان مصدر من قولك: قرأ الرجل إذا تلا يقرأ قرآناً و قراءة، و حكى أبو زيد الأنصاري و قرءاً، و قال قتادة: "القرآن معناه التأليف قرأ الرجل و أَلَفَ قولاً، و بهذا فسّر قتادة قول الله تعالى: «إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ» أي تأليفه.³

¹ - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 1، ص 39 و 40.

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 41.

³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 46.

ب- ذكر السورة:

قال بن عطية: و أما السورة فإن قريشاً كلَّها و من جاورها من قبائل العرب كهذيل و سعد بن بكر، و كنانة،

يقولون: سورة بغير همز، و تميم و كلها و غيرهم أيضاً يهمزون فيقولون، سور و سورة.¹

ج- ذكر الآية:

- قال بن عطية: و أما الآية فهي العلامة بكلام العرب، و منه قول الأسير الموصي إلى قومه باللغز "بآية ما

أكلت معكم حيساً".²

- و قال الكسائي: "أصل الآية آيه على وزن فاعله، حذف الياء الأولى مخافة أن يلتزم فيها من الإدغام

ما لزم في دابة".³

10- تفسير الاستعاذة:

- و أما لفظ الاستعاذة فالذي عليه جمهور الناس هو لفظ كتاب الله تعالى: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم".⁴

- و روي عن ابن عباس أنه قال: "أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه و سلم قال له: قل يا محمد:

أستعيذ بالله السميع العليم الرحمن الرحيم".⁵

- و أما المقرئون فأكثرها في هذا من تبديل الصفة في اسم الله تعالى و في الجهة الأخرى كقول

بعضهم: "أعوذ بالله المجيد من الشيطان المرید". و نحو هذا لا أقول فيه نعمت البدعة و لا أقول أنه لا يجوز.⁶

¹ - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 1، ص 46.

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 47.

³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 47.

⁴ - المصدر نفسه، ج 1، ص 48.

⁵ - المصدر نفسه، ج 1، ص 49.

⁶ - المصدر نفسه، ج 1، ص 49.

11- تفسير باسم الله الرحمن الرحيم:

- روي عن جعفر بن محمد الصادق- رضي الله عنه - أنه قال: " البسملة تيجان السورة".¹
- و روي عن جابر عن عبد الله أن النبي صلى الله عليه و سلم قال له: " كيف تفتح الصلاة يا جابر؟ قلت: " بالحمد لله رب العالمين، قال: قل باسم الله الرحمن الرحيم".²

• منهج ابن عطية في مقدّمة تفسيره:

1. ذكر أقوال أهل العلم في المسائل منسوبة إليهم ، و هو النهج الذي ألزم المصنف نفسه به ، و قد التزمه في الغالب ، غير أنه قد يخرج عن نهجه هذا فيطلق نسبة القول ، و يقول قال بعض العلماء ، أو نحو ذلك مثل قوله: " فذهب فريق من العلماء إلى تلك الحروف السبعة هي فيما يتفق أن يقال على سبعة أوجه فما دونها....."³
2. إيراد الخلاف في المسائل الهامة مع عرض الآراء بعبارة موجزة، قال في القراءات: " غير المغضوب عليهم و لا الضّالّين" اختلف القراء في الرّاء من غير فقراً نافع و عاصم و أبو عمرو و ابن عاصم و حمزة و الكسائي بخفض الرّاء و قرأ ابن كثير بالنصب و روي عنه الخفض.⁴
3. التصريح بموقفه من الخلاف و بيان رأيه و مناقشة الآراء الوجيهة بعبارة مختصرة، في قوله على سبيل المثال: " و اختلف التّاس في معنى قول النبي صلى الله عليه و سلم فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة فليل في الإجابة و قيل في خلوص النية و الإقبال على الرغبة إلى الله تعالى بقلب سليم و الإجابة تتبع حينئذ لأن من هذه حاله فهو على الصراط المستقيم."⁵

¹ - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 1 ، ص 51.

² - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 51.

³ - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 74.

⁴ - المصدر نفسه ، ص 76.

⁵ - المصدر نفسه ، ص 80.

4. عدم الإكثار من الآثار والأدلة على المسألة الواحدة والاكتفاء بما بين المقصود في قوله مثلاً عن منزلة

"ألم" وقال بن جرير عن ابن عباس هي حروف كل واحد منها، إمّا أن يكون من اسم من أسماء الله وإمّا

نعمة من نعمه وإمّا من اسم ملك من الملائكة أو نبي من أنبيائه.¹

5. الإستشهاد بالحديث والأثر واللغة والشعر لتأكيد معنى أو تأييد رأي. قوله في باب الاستعاذة: "وأما

الشیطان فاختلف الناس في اشتقاقه فقال الحدّاق هو فيعال من شطن إذ بعد لأنه بعد عن الخير ورحمة الله

و من اللفظة قولهم نوى شطون أي بعيدة.

قال الأعشى:

نأت سعاد عنك نوى شطون فبانت و الفؤاد بها رهين²

6. عدم ذكر سند الرواية، والإكتفاء بذكر الصحابي الذي روى الحديث في الغالب، وقد يحذف الصحابي

أيضاً مثلاً في قوله في باب الأحرف السبعة: "و في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

أقرأني جبريل على حرف فراجعت، فلم أزل أستزيده و يستزيدي حتى انتهى إلى سبعة أحرف.³

7. بيان مدى التزام ابن عطية في تفسيره بما ذكره في مقدمته فقد ذكر المصنف أنه قصد من تفسيره أن يكون

جامعاً للأقوال والعلوم، وجيزاً يحذف فضول القول فقال: "... و اعتمدت تبين المعاني و جميع محتملات

الألفاظ كلّ ذلك بحسب جهدي و ما انتهى إليه علمي و على غاية من الإيجاز و حذف فضول القول".⁴

و قد سار المؤلف في تفسيره على منهج السلف حيث جعل ظاهر الآيات هو مدار البحث و الدرس و قال أبو

حيان عنه و عن تفسير الزمخشري: "أنهما قد أنجدا و أغارا، و أشرقا في سماء هذا العلم بدرين و أنارا، و تزلزا

من كتب التفسير منزلة الإنسان من العين... إلى أن قال: "و كتاب ابن عطية أنقل و أجمع و أخلص"⁵

¹ — ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص 82.

² — المصدر نفسه، ص 60.

³ — المصدر نفسه، ص 47.

⁴ — ابن حيان بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، مجلد 1، ص 20.

⁵ — ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص 34.

و خلاصة القول ، لقد قدم ابن عطية لتفسيره بمقدمة كبيرة بلغت سبعين صفحة ضمنها عشرة أنواع من

أنواع علوم القرآن و هي الآتية :

1. فضل القرآن (في 10 صفحات).
 2. تفسيره (في صفحتين).
 3. طبقات المفسرين (في 04 صفحات).
 4. الأحرف السبعة (في 13 صفحة).
 5. جمع القرآن (في 03 صفحات).
 6. ترتيبه و نقطه و شكله و تحزيبه و تعشيره (في صفحة واحدة).
 7. المعرف في القرآن (في صفحتين).
 8. إعجاز القرآن (في 03 صفحات).
 9. الآيات المتشابهات في الصفات (في 03 صفحات).
 10. أسماء القرآن و معنى السورة و الآية (في 05 صفحات).
- و هي كما نرى مشابهة لمقدمة الإمام الطبري من حيث الأنواع، و عددها، فقد اقتفى صاحبنا أثر الطبري و هو يصرح فيما ينقله عنه.¹

¹ — الزركشي بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن ، ص 55 - 56.

المبحث الثالث:

مقدمة تفسير "الجامع لأحكام القرآن
المبيّن لم تضمّنه من السنّة و آي القرآن"
لأبي عبد الله محمد القرطبي

• تمهيد:

• التعريف بالمؤلف :

1- مولده ونشأته: مؤلف هذا السفر العظيم هو : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح بسكون الراء و الحاء

المهملة الأنصاري الخزرجي المالكي ، أبو عبد الله القرطبي .

ولد في قرطبة من بلاد الأندلس، و نشأ وترعرع في كنف أبيه و رعايته، ولم تشر المصادر التي وقفت عليها

إلى سنة ولادته، إلا أنها وردت في ثنايا التفاسير أن ولادته ربما كانت في بداية القرن السابع الهجري .

و قد عرف عن القرطبي الصلاح والتقوى، و الإكثار من العبادة والنوافل حتى ذكر المترجمون له بأن أوقاته

كانت معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف، وذكروا من مآثره البعد عن التكلف و ما يشغل أهل الدنيا

و طلابها، و من نعوته انه كان شيخاً صالحاً وقافاً عند حدود الله، يحرص على السنة و يحارب البدعة

والمبتدعين.¹

و قد تلقى القرطبي يرحمه الله ثقافته وعلمه من شيوخ أجلاء تأثر بهم ، و تكونت شخصيته على أيديهم

و تحت أنظارهم، و من هؤلاء : الشيخ أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، و الشيخ عبد العظيم بن عبد القوي

المنذري ، وغيرهم من شيوخ قرطبة و مصر و الإسكندرية و غيرها.²

2- مؤلفاته:

- التذكار في أفضل الأذكار.

- شرح التقيي.

- الأسنى في أسماء الله الحسنى.

- الإعلام بما في دين النصارى و إظهار محاسن دين الإسلام.



¹ - ابن فرحون بن محمد المالكي ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، تحقيق : محمد الأحدي أبو النور
القاهرة ، ص 317.

² - ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ص 273 .

- قمع الحرص بالزهد و القناعة و ردّ ذلّ السؤال بالكتب و الشفاعة.

- التذكّرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة.

3- وفاته:

و لكل شروق غروب ، ففي ليلة الاثنين ، التاسع من شوال سنة 671 هـ أفل نجم القرطبي ليلقى وجه ربه في النعيم المقيم إن شاء الله الغفور الرحيم ، و كانت وفاته في منية بن خصيب ، مستقره من الصعيد الأدنى من ديار مصر ، و هي المسمى حاليا ببلدة ، المنيا.¹

إنّ تفسير القرطبي جامع شامل لجميع اتجاهات التفسير، من المأثور و الرأي لا يستغني عليه اللغوي لما فيه من اللغة و النكات البلاغية، و لا الفقيه لما فيه من الأحكام القرآنية و العقائدية و لا شيوخ القراءات لقرآنية لما فيه من توجيهات، حيث يرجعونه مرجعاً هاماً في قلوبهم.

التعريف بالكتاب و المقدمة :

حين سئل شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله عن خير تفسير بين تفاسير ثلاثة ذكرت له ، تفسير الزمخشري و القرطبي و البغوي ، كان جوابه- يرحمه الله - أن : تفسير القرطبي خير من تفسير الزمخشري ، و أنه أقرب إلى طريقة أهل الكتاب و السنة ، و أنه أبعد عن البدع.²

عدّ المترجمون للقرطبي تفسيره هذا من أجل التفاسير و أعظمها نفعاً، فقد أسقط يرحمه الله القصص و التواريخ، و أثبت عوضها أحكام القرآن مع استنباط الأدلة، كما ذكر القراءات و الإعراب و النسخ و المنسوخ.³

¹ - ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ص 273 .

² - ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج 31 ، ص 387 .

³ - ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، ص 317 .

وقد تأثر القرطبي بسلفه ابن عطية تأثراً واضحاً، خصوصاً في تمحيص الآثار الواردة عن أهل الكتاب، وتلك التي هي محل النظر مما ابتليت به التفاسير عامة، ولهذا ذكر ابن خلدون أن القرطبي قد تأثر بابن عطية في منهجه و طريقته في هذا المنحنى.¹

هذا وقد استطاع القرطبي بعبارته السهلة، و تقسيمه الدقيق للموضوعات، و منهجه المتميز في هذا الشأن أن يقدم للقارئ نصاً يرتاح معه، فلا يكِل من دراسته، و لا يميل النظر فيه، و هي الأخرى ميزة عظيمة لهذا التفسير الجليل .

• موضوعات علوم القرآن:

لقد حوت مقدمة تفسير الإمام القرطبي خلاصة فكره حول كثير من علوم القرآن، عرضها بأسلوب يجمع بين الغزارة العلمية، و الطراوة الأدبية، تبني المصنف كثيراً مما نقله من سبقوه، وما لم يرتضه عقب عليه و ناقش صاحبه و قدم أدلته ليفند حجج مخالفه، جمع فيه بين مآثور النصوص و قوة الإستنباط و التحليل .

إن هذه المقدمة تعد من أوفى المقدمات في علوم القرآن، تضمّنت إحدى و عشرون نوعاً هي كالتالي:

1- فضائل القرآن، الترغيب فيه، و فضل طالبه، و قارئه و مستمعه و العامل به.

أ- فضائل القرآن:

قال القرطبي: اعلم أن هذا الباب واسع كبير، ألف فيه العلماء كتب كثيرة، فذكر من ذلك نكتاً تدل فضله و ما أعدّ الله لأهله، إذا أخلصوا الطلب لوجهه، و عملوا به، فأول ذلك أن يستشعر المؤمن من فضل القرآن أنه كلام رب العالمين، غير مخلوق، كلام ليس كمثله شيء، وضعه من ليس له شبيهه و لا ندّ، فهو من نور ذاته.²

¹ - ابن خلدون ، المقدمة ، ص 314 .

² - القرطبي محمد عبد الله ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الفكر ، ط 2 ، سنة 1952م ، مجلد 1 ، ص 04.

ب- الترغيب فيه:

- و أسند أبو بكر محمد بن القاسم بن بشر بن محمد الأنباري التحوي اللغوي في كتاب " الردّ على من خالف مصحف عثمان" عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " إن هذا القرآن مادّبة الله فتعلموا من مادّيته ما استطعتم إنّ هذا القرآن جبل الله و هو النور المبين و الشفاء التافع عصمته من تمسك به و نجاه من اتّبعه لا يعوّج فيقوم و لا يزيغ فيستعيب و لا تنقضي عجائبه و لا يخلق عن كثرة الردّ فأتلوه فإنّ الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول أنّ " ألم " حرف و لا ألفين أحدكم واضعا إحدى رجله يدع أن يقرأ سورة البقرة فإنّ الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة و إنّ أصفر البيوت من الخير البيت الصّفّر من كتاب الله.¹

ج- فضل طالب القرآن و قارئه:

- و أسند أبو بكر الأنباري عن أبي أمامة لحمصي قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " من أعطي ثلث القرآن فقد أعطي النبوة و من أعطي ثلثي القرآن فقد أعطي ثلثي النبوة و من قرأ القرآن كلّه فقد أعطي النبوة كلّها غير أنّه لا يوحى إليه و يقال له يوم القيامة اقرأ و اقرأ فيقرأ آية و يصعد درجة حتىّ ينجز ما معه من القرآن ثمّ يقال له اقبض فيقبض ثمّ يقال له أتدري ما في يديك فإذا في يده اليمنى الخلد و في اليسرى النعيم".²

- و حدّثنا محمد بن يحيى المروزي أنبأنا محمد و هو ابن سعدان حدّثنا الحسين بن محمد بن حفص بن كثير بن زاذان عن عاصم بن ضمرة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " من قرأ القرآن و تلاه و حفظه أدخله الله الجنّة و شفّعه من أهل بيته كلّ قد وجبت له النار".³

¹ - القرطبي محمد عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 05.

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 08.

³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 09.

د- فضل مستمع القرآن و العامل به:

- و قال الحديث: يقال ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن لقول الله جلّ ذكره: «وَإِذَا قُرِئَ

الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»¹ و لعلّ من الله واجبة.²

- و في مسند أبي داوود الطيالسي- و هو أوّل مسند ألف في الإسلام- عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله

صلى الله عليه و سلم قال: " من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين و من قام بمائة آية كتب من القانتين

و من قام بألف آية كتب من المقنطرين" و الآثار في معنى هذا الباب كثيرة، و فيما ذكرنا كفاية، و الله

الموفق للهداية.³

2- كيفية التلاوة لكتاب الله تعالى و ما يكره منها و ما يحرم، و اختلاف الناس في ذلك

أ- كيفية تلاوة كتاب الله تعالى:

- روى البخاري من قتادة قال: سألت أنساً عن قراءة رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: كان يمدّ ممدّاً

[إذا] قرأ باسم الله الرحمن الرحيم، يمدّ باسم الله، و يمدّ بالرحمن، و يمدّ بالرحيم.⁴

ب- اختلاف الناس حول ما يكره و يحرم من التلاوة:

- روي عن مالك أنه سأل عن التبر في قراءة القرآن في الصلاة، فأنكر ذلك و كرهه كراهة شديدة و أنكر

رفع الصوت به..... و أجازت طائفة رفع الصوت في قراءة القرآن و الترطيب به، و ذلك لأنه إذا حسّن

الصوت به كان أوقع في النفوس و أسمع في القلوب، و احتجوا بقوله عليه السلام: " زَيْنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ"

رواه البرّاد بن عازب، أخرجه أبو داود و النسائي.⁵

¹ - سورة الأعراف ، الآية 204.

² - القرطبي محمد عبد الله ، الجامع لأحكام القرآن ، ج 1 ، ص 09.

³ - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 09.

⁴ - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 10.

⁵ - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 11.

– ذكر الإمام الحافظ أبو الحسين رزين و أبو عبد الله الترمذي الحكيم في " نواذر الأصول " من حديث حذيفة أن الرسول صلى الله عليه و سلم قال: " اقرؤوا القرآن بلحون العرب و أصواتها و إياكم و لحون أهل العشق و لحون أهل الكتابين و سيجيء بعدي قوم يرجعون القرآن ترجيع الغناء و النوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم و قلوب الذين يعجبهم شأنهم، اللحن جمع لحن و هو الترطيب و ترجيع الصوت و تحسينه بالقراءة و الشعر و الغناء.¹

3- تحذير أهل القرآن و العلم من الرياء و غيره:

– و روى علقمة بن عبد الله بن مسعود قال: كيف أنتم؟ إذا لبستكم فتنة يرجوا فيها الصغير، و يهرم الكبير، و تتخذ سنة مبتدعة يجري عليها الناس فإذا غير منها شيء قيل قد غيرت السنة، قيل متى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: إذا كثرت قراؤكم، و قلّ فقهاؤكم، و كثرت أمراؤكم و قلّ أمناؤكم و التمسست الدنيا بعمل الآخرة، و تفقه لغير الدين.²

4- ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به و لا يغفل عنه:

قال لقرطبي: فأول ذلك أن يخلص في طلبه الله عزّ و جلّ كما ذكرنا، و أن يأخذ نفسه بقراءة القرآن في ليله و نهاره، في الصلاة أو في غير الصلاة لئلا ينساه، روى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: " إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلقة إن عاهد عليه أمسكها و إن أطلقها ذهبت و إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل و النهار ذكره و إذا لم يرقم به نسيه.³

¹ – القرطبي محمد عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 09.

² – المصدر نفسه، ج 1، ص 20.

³ – المصدر نفسه، ج 1، ص 20.

5- اعراب القرآن و تعليمه و الحث عليه، و ثواب من قرأ القرآن معرباً:

- من ذلك ما حدثنا يحيى بن سليمان الضبي قال حدثنا محمد-يعني ابن سعيد- قال حدثنا أبو معاوية عن عبد الله بن سعيد المقبري عن أبيه عن جدّه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال: " أعربوا القرآن و التمسوا غرائبه".¹

- و عن الشعبي قال عمر رحمه الله: من قرأ لقرآن فأعربه كان له عند الله أجر شهيد.²

6- فضل تفسير القرآن و أهله:

- قال علماؤنا رحمة الله عليهم: " و أمّا ما جاء في فضل التفسير عن الصحابة و التابعين، فمن ذلك، أنّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذكر جابر بن عبد الله و وصفه بالعلم، فقال له رجل: جعلت فداك أتصف جابراً بالعلم و أنت فقال: إله كان يعرف تفسير قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيَّ مَعَادٍ»³ ".⁴

- قال إياس بن معاوية: مثل الذين يقرؤون القرآن و هم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً و ليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة و لا يدرون ما في الكتاب، و مثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب.⁵

7- حامل القرآن و من هو، و من عاداه:

- قال أبو عمر: روي من وجوه فيها لين عن النبي صلى الله عليه و سلم أنّه قال: "من تعظيم جلال الله إكرام ثلاثة: الإمام المقسط و ذي الشبهة المسلم و حامل القرآن غير الغالي فيهو لا الجافي عنه".⁶

¹ - القرطبي محمد عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 23.

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 23.

³ - سورة القصص، الآية 85.

⁴ - القرطبي محمد عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 26.

⁵ - المصدر نفسه، ج 1، ص 26.

⁶ - المصدر نفسه، ج 1، ص 26.

- روى أنس أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: " القرآن أفضل من كل شيء فمن قرّ القرآن فقد قرّ الله و ن استخفّ بالقرآن استخفّ بحق الله تعالى حملة القرآن المحفوفون برحمة الله المعظمون كلام الله الملبسون نور الله فمن والاهم فقد والى الله و من عاداهم فقد استخفّ بحق الله".¹

8- ما يلزم قارئ القرآن و حامله من تعظيم القرآن و حرمة:

- قال الترمذي الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول: " فمن حرمة القرآن ألا يمسه إلا طاهراً، و من حرمة أن يقرأه و هو على طهارة، و من حرمة أن يستاك و يتخلل فيطيب فاه، إذ هو طريق...."²

- و من حرمة ألا يوسد المصحف و لا يعتمد عليه، و لا يرمي به إلى صاحبه إذا أراد أن يتناوله، و من حرمة ألا يصغّر المصحف، روى الأعمش عن إبراهيم عن علي رضي الله قال: لا يصغّر المصحف.³

9- الوعيد في تفسير القرآن بالرأي و الجرأة على ذلك، و مراتب المفسرين:

أ- تفسير القرآن بالرأي و الجرأة عليه:

- روى الترمذي عن بن عباس عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: " اتقوا الحديث عليّ إلا ما علمتم فمن كذب عليّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار و من قال في لقرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار".⁴

- قال بن عطية: " و كان جلة من السلف الصالح كسعيد بن المسيب و عامر الشعبي و غيرهما يعظمون تفسير القرآن و يتوقفون عنه تورعاً و احتياطاً لأنفسهم مع إدراكهم و تقدّمهم".⁵

¹ القرطبي محمد عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 26.

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 29.

³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 29.

⁴ - المصدر نفسه، ج 1، ص 32.

⁵ - المصدر نفسه، ج 1، ص 34.

ب- مراتب المفسرين:

- قال أبو بكر: حدثنا أحمد بن هيثم بن خالد حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا سلام عن زيد العمى عن أبي الصديق التاجي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أرحم أممي بها أبو بكر وأقواهم في دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم علي وأفضهم زيد وأقرؤهم لكتاب الله عز وجلّ أبي بن كعب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ ابن جبل وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وأبو هريرة وعاء من العلم وسلمان بجر من علم لا يدرك وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء- أو قال البطحاء- من ذي لهجة أصدق من أبي ذر".¹

10- تبيين الكتاب بالسنة:

- روى الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: كان الوحي يتزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحظره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك.²

- و به عن الأوزاعي قال قال يحيى بن أبي كثير: السنة: السنة قاضية على الكتاب، و ليس الكتاب بقاض على السنة، قال بن زياد سمعت أبا عبد الله- يعني أحمد بن حنبل- و سئل عن هذا الحديث الذي روى أن السنة قاضية على الكتاب فقال: ما أجسر على هذا أن أقوله، و لكنني أقول: إن السنة تفسر الكتاب و تبيّنه.³

¹ - القرطبي محمد عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 39.

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 39.

³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 39.

11- كيفية التعلّم و الفقه لكتاب الله تعالى، و سنة نبيّه صلى الله عليه و سلم:

أ- كيفية تعلّم كتاب الله تعالى و التفقه فيه:

- ذكر أبو عمرو الدّاني في كتاب البيان له بإسناده عن عثمان و ابن مسعود و أبيّ أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يقرؤهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلّموا ما فيها من العمل، فيعلمنا القرآن و العمل جمعاً¹.

- و ذكر عبد الرزّاق عن محمد عن عطاء ابن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: كُنّا إذا تعلّمنا عشر آيات من القرآن لن نتعلّم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها و حرامها و أمرها و نهيها.²

ب- كيفية تعلّم سنة الرسول صلى الله عليه و سلم:

- و قال أهل العلم بالحديث: لا ينبغي لطالب الحديث أن يقتصر على سماع الحديث و كتبه، دون معرفته و فهمه، فيكون قد أتعّب نفسه من غير أن يظفر بطائل، و ليكن تحفّظه للحديث على التدرّج قليلاً قليلاً مع الليالي و الأيام.³

ج- حفظ القرآن و السنة و العمل بهما:

- قال معمر: سمعت الزهري يقول: من طلب العلم جملة فاته جملة، و إنّما يدرك العلم حديثاً و حديثين و الله أعلم.⁴

- و قال معاذ بن جبل: اعلّموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله بعلمه حتى تعملوا.⁵

¹ - القرطبي محمد عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 39.

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 40.

³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 40.

⁴ - المصدر نفسه، ج 1، ص 40.

⁵ - المصدر نفسه، ج 1، ص 40.

12- الأحرف السبعة:

أ- اختلاف العلماء في المراد بالأحرف السبعة:

- و قد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة و ثلاثين قولاً ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البستيّ- ذكر منها القرطبي خمسة أقوال.¹

- قال كثير من علمائنا كالداودي و ابن أبي صفرة و غيرهما: هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة، ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت لصحابة في القراءة بها، و إنما راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة، و هو الذي جمع عليه عثمان المصحف، ذكره ابن النحاس و غيره.²

ب- القراءات الشاذة:

- قال غيره - أي ابن عطية - أما شاذ القراءات عن المصاحف المتواترة فليست بقرآن، و لا يعمل بها على أنها منه، و أحسن محاملها أن تكون بيان تأويل مذهب من نسبت إليه كقراءة ابن مسعود: " فصيام ثلاثة متتابعات...."³.

13- باب ذكر جمع القرآن:

أ- جمع القرآن:

- قال القرطبي: كان القرآن في مدة النبي صلى الله عليه و سلم متفرقاً في صدور الرجال، و قد كتب الناس منه صحف و في جريد و في لِيخاف و ظرر و في خزف و غير ذلك، قال الأصمعي: اللخاف: حجارة بيض رقاق، واحدها لخرة و الظرر حجر له حدّ كحد السكين، و الجمع ظرار مثل رطب و رطاب، و ربع و رباع، و ظران أيضاً مثل صرد و صردان - فلما استحر القتل بالقرآن يوم اليمامة أثار عمر بن الخطاب علي بن أبي

¹ - ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 41، ص 42، ص 43.

² - القرطبي محمد عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 96.

³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 46.

طالب - رضي الله عنهما - لجمع القرآن مخافة أن يموت أشياخ القراءة كأبي و ابن مسعود فيذهب، فشدبا

إلى ذلك زيد بن ثابت فجمعه غير ترتيب السور بعد ترتيب شديد منه رضي الله عنه.¹

ب- جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه:

- قد روى سويد بن عقلة عن علي بن أبي طالب أن عثمان قال: ما ترون في المصاحف؟ فإن الناس قد اختلفوا في القراءة حتى إن الرجل ليقول قراءتي خير من قراءتك، و قراءتي أفضل من قراءتك و هذا شبيه بالكفر، قلنا ما الرأي عندك يا أمير المؤمنين قال الرأي عندي أن يجمع الناس على قراءة، فإنكم إن اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشدّ اختلافاً. قلنا الرأي رأيك يا أمير المؤمنين فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف نسخها في المصاحف ثم نردّها إليك، فأرسلت بها إليه فأمر زيد بن ثابت و عبد الله بن الزبير و سعيد بن العاص و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، و قال عثمان للرهط القريشيين: إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، و أرسل إلى كلّ أفق بمصحف مما نسخوا، و أمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق....²

ج- قول الصحابة و العلماء في حرق الصحف:

- و ذكر أبو بكر الأنباري في كتاب الردّ عن سويد بن غفلة قال: سمعت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول: يا معشر الناس، اتقوا الله! و إياكم و الغلوّ في عثمان و قولكم حرق المصاحف، فوالله ما حرّقها إلا عن ملا منّا أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم.³

¹ - القرطبي محمد عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 49 و ص 50.

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 52.

³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 54.

- قال أبو الحسن بن بطال: و في أمر عثمان بتحريق الصحف و المصاحف حين جمع القرآن جواز تحريق الكتب التي فيها أسماء الله تعالى، و أن ذلك إكرام لها و صيانة عن الوطء بالأقدام، و طرحها في ضياع من الأرض.¹

14- ترتيب سور القرآن و آياته، و شكله و نقطه، و تحزيبه و تعشيره، و عدد حروفه و أجزاءه و كلماته:

أ- ترتيب سور القرآن و آياته:

- روى يونس عن ابن ذهب قال سمعت مالكا يقول: إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه و سلم.²

- و ذكر أبو الأنباري في كتاب الرد: أن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا، ثم فرق على النبي صلى الله عليه و سلم في عشرين سنة، و كانت السورة تنزل في أمر يحدث، و الآية جواباً لمستخبر يسأل، و يوقف جبريل رسول الله صلى الله عليه و سلم على موضع السورة و الآية، فأتساق السور كأتساق الآيات و الحروف.... لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم أخذ عنه هذا الترتيب و هو كان يقول: "ضعوا هذه السورة موضع كذا و كذا من القرآن" و كان جبريل يقف على مكان الآيات.³

ب- شكل المصحف و نقطه:

- أما شكل المصحف و نقطه فروي أن عبد الملك بن مروان أمر به و علمه، فتجرّد لذلك الحجّاج بواسطة و جدّ فيه و زاد تحزيبه، و أمر و هو والي العراق الحسن و يحيى بن يعمر بذلك، و ألف إثر ذلك بواسطة كتاباً

¹ - القرطبي محمد عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 54.

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 60.

³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 60.

في القراءات جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط، و مشى الناس على ذلك زماناً طويلاً، إلى أن أَلَّف مجاهد كتابه في القراءات.¹

– و أسند الزبيدي في كتاب الطبقات إلى المبرد أن أوّل من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي، و ذكر أيضا أن ابن سيرين كان له مصحف نقطه له يحيى بن يعمر.²

ج- وضع الأعراس:

و قال أشهب: سمعت مالكا و سئل عن العشور التي تكون في المصحف بالحمرة و غيرها من الألوان، فكره ذلك و قال: تعشير المصحف بالخبر لا بأس به.³

د- عدد حروف القرآن و أجزاءه:

– و أما عدد حروفه و أجزاءه فروى سلام أبو محمد الحماني أن الحجاج بن يوسف جمع القرآن و الحفظ و الكتاب فقال: أخبروني عن القرآن كله كم من حرف هو؟ قال: و كنت فيهم، فحسبنا فأجمعنا على أن القرآن ثلثمائة ألف حرف و أربعون ألف حرف و سبعمائة حرف و أربعون حرفاً، قال فأخبروني إلى أي حرف ينتهي نصف القرآن؟ فإذا هو في الكهف "وَلْيَتَلَطَّفْ" في الفاء، قال فأخبروني بأثلاثه، فإذا الثلث الأول رأس مائة من براءة، و الثلث الثاني رأس مائة أو إحدى و مائة من طسم الشعراء و الثلث الثالث ما بقي من القرآن...⁴

¹ – القرطبي محمد عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 63.

² – المصدر نفسه، ج 1، ص 63.

³ – المصدر نفسه، ج 1، ص 63.

⁴ – المصدر نفسه، ج 1، ص 64.

هـ - عدد آية:

- و قال الفضل: عدد آي القرآن في قول المكيين ستة آلاف آية و مائتا آية و تسع عشرة آية.¹

- قال محمد بن عيسى: و جميع عدد آي القرآن في قول الكوفيين ستة آلاف آية و مائتا آية و ثلاثون و ست

آيات، و هو العدد الذي رواه مسلم و الكسائي عن حمزة، و أسنده الكسائي إلى علي رضي الله عنه.²

و- عدد كلماته:

- و أمّا كلماته فقال الفضل بن شاذان: جميع كلمات القرآن - في قول عطاء بن يسار- سبعة و سبعون ألفاً

و أربعمائة و تسع و ثلاثون كلمة، و حروفه ثلاثمائة ألف و ثلاثة و عشرون ألفاً و خمسة عشر حرفاً.³

قلت: هذا يخالف ما تقدّم من الحمّاني قبل هذا، و قال عبد الله بن كثير بن مجاهد قال: هذا ما أحصينا من

القرآن، و هو ثلاثمائة ألف حرف و أحد و عشرون ألف حرف و مائة و ثمانون حرفاً، و هذا يخالف ما ذكره

قبل هذا الحمّاني من عدد حروفه.⁴

15- معنى السورة و الآية و الكلمة و الحرف:

أ- معنى السورة:

- و قيل: سمّيت بذلك لشرفها و ارتفاعها كما يقال لما ارتفع من الأرض سور.

- و قيل: سمّيت بذلك لتمامها و كمالها من قول العرب للناقة التامة: سورة و جمع سورة سور بفتح الواو،

و قال الشاعر:

سود المحاجر لا يقرأن بالسور⁵

¹ - القرطبي محمد عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 65.

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 65.

³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 65.

⁴ - المصدر نفسه، ج 1، ص 65.

⁵ - المصدر نفسه، ج 1، ص 65.

ب- معنى الآية:

- و أما الآية فهي العلامة، بمعنى أنها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها من الذي بعدها و انفصاله، أي هي بئنة من أختها و منفردة.¹

- و قيل سميت آية لأنها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها.²

ج- معنى الكلمة:

- و قد تكون الكلمة وحدها آية تامة نحو قول الله تعالى: «و الفجر»، «و الضحى»، «و العصر»، و كذلك «الم»، «المص»، و «طه» و «يس» و «حم» في قول الكوفيين، و ذلك في فواتح السور، فأما في حشوهن فلا.³

د- معنى الحرف:

- و أما الحرف فهو الشبهة القائمة وحدها من الكلمة، و قد يسمّى الحرف كلمة و الكلمة حرفاً على ما بيّناه من الاتساع و المجاز، قال أبو عمرو و الداني: فإن قيل فكيف يسمّى ما جاء من حروف الهجاء في الفواتح على حرف واحد نحو "ص" و "ق" و "ن" حرفاً أو كلمة؟ قلت: كلمة لا حرفاً، و ذلك من جهة أن الحرف لا يسكت عليه، و لا ينفرد وحده في الصورة و لا ينفصل تماماً يختلط به، و هذه الحروف مسكوت عليها منفردة منفصلة كانفراد الكلم و انفصالها، فلذلك سميت كلمات لا حروف.⁴

¹ - القرطبي محمد عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 66.

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 67.

³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 67 و ص 68.

⁴ - المصدر نفسه، ج 1، ص 68.

16- هل ورد في القرآن كلمات خارجة عن لغات العرب أو لا:

- و اختلفوا هل وقع فيه ألفاظ غير أعلام مفردة من غير كلام العرب، فذهب القاضي أبو بكر بن الطيب و

الطبري و غيرهما إلى أن ذلك لا يوجد فيه، و أن القرآن عربي صحيح...¹

- و ذهب بعضهم إلى وجودها فيه، و أن تلك الألفاظ لقلتها لا تخرج القرآن كونه عربياً مبيناً، و لا رسول

الله كونه متكلماً بلسان قومه، فالمشكاة: الكوة، و نشأك قام من الليل، ومنه " إن ناشئة الليل " و " يؤتكم

كفلين " أي ضعفين و " فرت من قسورة " أي الأسد، كَلَّه بلسان الحبشة.²

17- إعجاز القرآن، و شرائط المعجزة و حقيقتها:

أ- تعريف المعجزة:

- المعجزة واحدة من معجزات الأنبياء الدالة على صدقهم صلوات الله عليهم، و سميت معجزة لأن البشر

يعجزون عن الإتيان بها.³

ب- شروط المعجزة

و شرائطها- أي المعجزة- خمسة، فإن اختل شرط لا تكون معجزة:

- الشرط الأول: أن تكون مما لا يقدر عليها إلا سبحانه و تعالى.⁴

- الشرط لثاني: هو أن تخرق العادة.⁵

- الشرط الثالث: أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عزّ و جلّ.⁶

¹ - القرطبي محمد عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 68.

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 68.

³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 69.

⁴ - المصدر نفسه، ج 1، ص 70.

⁵ - المصدر نفسه، ج 1، ص 70.

⁶ - المصدر نفسه، ج 1، ص 70.

– الشرط الرابع: أن تقع على وفق دعوى المتحدّي بها المستشهد بكونها معجزة له.¹

– الشرط الخامس: ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدّي على وجه المعارضة.²

ج- وجوه إعجاز القرآن الكريم:

و وجوه إعجاز القرآن الكريم عشرة:

- 1- النظم البديع المخالف لكلّ نظم معهود في لسان العرب و في غيرها.³
- 2- الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب.⁴
- 3- الجزالة التي تصحّ من مخلوق بحال.⁵
- 4- التصرف في لسان لعرب على وجه لا يستقلّ به عربي.⁶
- 5- الإخبار عن الأمور التي تقدّمت في أوّل الدنيا إلى وقت نزوله.⁷
- 6- الوفاء بالوعد، المدرك بالحسّ في العيان، في كلّ ما وعد الله سبحانه.⁸
- 7- الإخبار عن المغيّبات في المستقبل التي لا يطلع عليها إلاّ بالوحي.⁹
- 8- ما تضمّنه القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الانام، في الحلال و الحرام، و في سائر الأحكام.¹⁰
- 9- الحكم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها و شرفها من آدمي.¹¹

¹ – القرطبي محمد عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 71.

² – المصدر نفسه، ج 1، ص 71.

³ – المصدر نفسه، ج 1، ص 73.

⁴ – المصدر نفسه، ج 1، ص 73.

⁵ – المصدر نفسه، ج 1، ص 73.

⁶ – المصدر نفسه، ج 1، ص 74.

⁷ – المصدر نفسه، ج 1، ص 74.

⁸ – المصدر نفسه، ج 1، ص 74.

⁹ – المصدر نفسه، ج 1، ص 74.

¹⁰ – المصدر نفسه، ج 1، ص 75.

¹¹ – المصدر نفسه، ج 1، ص 75.

10- التناسب في جميع ما تضمنته ظاهراً وباطناً من غير اختلاف.¹

د- فصاحة القرآن و بلاغته:

- و من فصاحة القرآن أنّ الله جلّ ذكره، ذكر في آية واحدة أمرين و هيين و خيرين و بشارتين و هو قوله تعالى: «وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ»² الآية 7 سورة القصص، و كذلك سورة المائدة أمر بالوفاء و نهي عن النكث و حلل تحليلاً عاماً، ثم استثنى استثناء بعد استثناء، ثمّ أخير عم حكيمته و قدرته، و ذلك مما لا يقدر عليه إلاّ الله سبحانه.³

18- التنبية على أحاديث وضعت في فضل القرآن و غيره

- لا ألتفات لما وضعه الواضعون، و اختلقه المخلتقون، من الأحاديث الكاذبة و الأخبار الباطلة، في فضل القرآن، و غير ذلك من فضائل الأعمال، قد ارتكبتها جماعة كثيرة، اختلفت أغراضهم و مقاصدهم في ارتكابها.....⁴

- و منهم قوم وضعوا الحديث هوىً يدعون الناس إليه، قال شيخ من شيوخ الخوارج بعد أن تاب: إنّ الأحاديث دين، فانظروا ممن تأخذون دينكم، فإنّا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً.⁵

19- الحجّة في الردّ على من طعن في القرآن و خالف مصحف عثمان بالزيادة و النقصان:

- فالقائل بأنّ القرآن فيه زيادة و نقصان رادّ لكتاب الله و لما جاء به الرسول، و كان كمن قال: الصلوات المفروضات خمسون صلاة، و تزوّج تسع من النساء حلال، و فرض الله أيام مع شهر رمضان، إلى غير ذلك مما لا يثبت في الدين، فإن ردّ هذا بالإجماع، كان الإجماع على القرآن أثبت و أكد و ألزم و أوجب.⁶

¹ - القرطبي محمد عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 75.

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 76.

³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 76.

⁴ - المصدر نفسه، ج 1، ص 78.

⁵ - المصدر نفسه، ج 1، ص 78.

⁶ - المصدر نفسه، ج 1، ص 80.

20- الاستعاذة:

و فيها اثنا عشر مسألة:

- 1- أمر الله بالاستعاذة عند أوّل كل قراءة.
- 2- هذا الأمر على الندب في قول الجمهور في كل قراءة في غير صلاة.
- 3- أجمع العلماء على أنّ التعوذ ليس من القرآن ولا آية منه.
- 4- في صيغ التعوذ.
- 5- وجوه الاستعاذة.
- 6- هل هي فرض أم مستحب.
- 7- التعوذ قبل القراءة أم بعدها.
- 8- في فضل التعوذ.
- 9- معنى الاستعاذة في كلام العرب.
- 10- معنى كلمة الشيطان.
- 11- معنى كلمة الرجيم.
- 12- لعن الرسول صلى الله عليه و سلم الشيطان.

21- البسملة:

و فيها سبع و عشرون مسألة

- 1- معنى البسملة.
- 2- تعظيم البسملة.
- 3- كتابة البسملة.
- 4- اختلاف العلماء حول البسملة هل هي آية أم لا.

- 5- قول العلماء في البسمة.
- 6- جواز كتابتها في أول الكتب.
- 7- معنى البسمة لغة.
- 8- ندب الشرع إلى ذكر البسمة في أول كل فعل.
- 9- معنى "باسم الله".
- 10- معنى كلمة "اسم".
- 11- الاختلاف في معنى "اسم".
- 12- الاختلاف حول دخول حرف "الباء" على "اسم".
- 13- كتابة "بسم" بغير ألف.
- 14- "باء" الجر لـ "بسم" اختلف في تخصيصها على ثلاث معان.
- 15- وزن كلمة "اسم" و إعرابها.
- 16- قول العرب في النسب إلى الاسم.
- 17- اشتقاق "اسم" على وجهين.
- 18- فيمن قال الاسم مشتق من العلو.
- 19- الاسم هو المسمى.
- 20- معنى قول "الله".
- 21- اختلاف العلماء في لفظ الجلالة "الله".
- 22- اختلاف اشتقاق اسم "الرحمن".
- 23- معنى كلمة "الرحيم".
- 24- معنى كلمتي "الرحمن" و "الرحيم" معاً.

25- تخصيص كلمة "الرحمن" لله عزّ وجلّ.

26- الصفة المطلقة لكلمة "الرحيم".

27- وصل البسملة بسورة الفاتحة و اختلاف العلماء فيها.

• منهج القرطبي في مقدّمة تفسيره :

قبل أن يستعرض لنا القرطبي العلوم التي رأى أنه يحسن لطالب العلم الإحاطة بها ، قدّم توطئة بيّن فيها ما يريد التنبيه إليه كعادة المفسرين ، و كان مما بينه في هذه التوطئة شرطه في الكتاب و لكون مقدمته جزءاً من كتابه فإن ما ذكره ينطبق عليها و إن كانت بصلب الكتاب الصقّ. فقال: " فما أحقّ من علم كتاب الله أن يزدجر بنواهيهِ و يتذكّر ما شرح له فيه و يخشى الله و يتقيه و يراقبه و يستحييه، فإنّه قد حمّل أعباء الرّسل، و صار شهيداً من خالف أهل الملل...."¹

فمن شرطه إضافة الأقوال إلى قائلها ، و الأحاديث إلى مصنفها ، وهو منهج إلتمه المصنف في أغلب مقدمته ، وجاء هذا الإلتزام مطرداً إلا ما ندر، فالمصنف يرى أن من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله.² فقال: " و شرطي في هذا الكتاب: إضافة الأقوال إلى قائلها، و الأحاديث إلى مصنفها...."³

وللقرطبي في إضافة الأقوال إلى قائلها طريقتان :

الأولى : التصريح بسم القائل ، مع المصدر الذي استقى منه المعلومة ، و هو كثير ، و من أمثلة ذلك : في باب ما يلزم قارئ القرآن وحامله من تعظيم القرآن وحمته ، قال : " قال الحكيم الترمذي أبو عبد الله في نوادر الأصول : فمن حرمة القرآن أن لا يمسه إلا طاهر..... إلخ"⁴ و نقل عنه ما يربو على ثلاث صفحات.

¹ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مجلد 1 ، ص2.

² - محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي، علوم القرآن من خلال مقدمات التفسير ، ص 445.

³ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مجلد 1 ، ص3.

⁴ - المصدر نفسه، مجلد 1 ، ص27.

و مثال ذلك أيضا : ما نقله عن أبو بكر الأنباري في ثانيا حديثه عن جمع المصحف ، قال : " و قد ذكر أبو

بكر الانباري في كتاب الردة، يريد بذلك كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان ".¹

الثانية : أن يشير إلى القائل ، و يصرح باسمه أو كنيته أو لقبه ، دون أن يذكر المصدر و غالبا ما يسلك هذا

المنهج مع أصحاب المصنفات المشهورين بمصنفاتهم كالبخاري و ابن عطية و غيرهما ، إذ المتبادر عند ذكر

البخاري هو صحيحه ، و عند ذكر ابن عطية هو تفسيره ، و من أمثلة ذلك ما نقله في باب : ما جاء

من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي ، قال : " قال ابن عطية : و معنى الحديث في قي مغيبات القرآن و تفسير

مجمله ، و نحن بهذا مما لا سبيل إليه إلا بتوفيق من الله تعالى...".²

و المؤلف يريد بعمله هذا أن يضع بين يدي القارئ مصدر المعلومة لمن أراد التوسع أو التأكد ، كما أنه يرفع

بذلك من القيمة العلمية للمعلومة ، لكون مصادره في مجملها من أمهات الكتب المعتمدة .

و نادرا ما يعدل المصنف عن هذا المنهج ، فلا يصرح باسم القائل مكتفيا بقوله : قال علماؤنا ،

أو : قال بعض العلماء في قوله:" و قال بعض العلماء إن التفسير موقوف على السماع لقوله تعالى:

«فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ».³ 4

و كما أضاف الأقوال إلى قائلها ، عزا الأحاديث و الآثار إلى مخرجيها و مصنفاتها ، و يستطيع المرء أن

يلخص منهج القرطبي في الإستشهاد بالأحاديث و الآثار في النقاط التالية:

1. أن غالب ما أورده ، و استشهد به عزاه لمن خرّجه أو ذكره ، و ما تركه دون عزو و قليل نادر.

2. قد يستقصي من خرج الرواية ، ويورد السند .

¹ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مجلد 1 ، ص81

² - المصدر نفسه ، ص 31.

³ - سورة النساء ، الآية 59.

⁴ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مجلد 1 ، ص33.

3. ينقل حكم الأئمة على الروايات في أحايين كثيرة ، و ما كان منها في الصحيحين اكتفى بالعزو

دليلا على صحتها .

4. إذا ورد في سند إحدى الروايات من هو محل نظر ، بين القول فيه مع ذكر أقوال الأئمة لبيان

حاله.

5. إذا وردت في الروايات لفظة غامضة ، بينها ، و وضح معناها ، و المراد منها.

6. الروايات التي قد يختلف في توجيه المراد منها يوجهها ، أو ينقل توجيه العلماء لها .

هذا و قد يكتفي الصنف في العزو بالبناء للمجهول ، فيورد الأثر بلفظ : روي . و مثل هذا قليل نادر.¹

و بين المصنف سبب تبنيه لمنهجه في العزو فيقول : كثيرا ما يجيء الحديث في كتب الفقه و التفسير مبهما لا يعرف منم أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث ، فيبقى من لا خبرة له بذلك حائرا ، لا يعرف الصحيح من السقيم ، و معرفة ذلك علم جسيم ، فلا يقبل من الإحتجاج به ، و لا الإسندلال حتى يضيفه إلى من خرّجه من الأئمة الأعلام ، و الثقات المشاهير من علماء الإسلام ، فالإمام القرطبي رحمه الله أراد بمنهجه هذا تكملة النقص في بعض المؤلفات التي تهمل عزو الأحاديث ، و إعانة للقارئ مقدرا حاجته إلى معرفة صحة الأثر من ضعفه و المصنف رحمه الله لا يقتصر في الاستشهاد على ما يورده أو يتبناه من الآراء على الأحاديث و الآثار ، بل يذكر من أقوال العلماء المعترين في الفنون التي يتعرض لها ما يؤيد به الرأي الذي ارتضاه ، أو عرضه ، و يضرب لذلك من الأمثلة ما يوضح به المقال ، كما أنه لا يغفل عن الاحتكام إلى اللغة و الإستشهاد بالشعر ، إذا دعا الأمر لذلك.² كقوله في شرح كلمة يتبوا من حديث الرسول صلى الله عليه و سلم: من قال في القرآن قولاً يعلم الحق غيره فليتبوا مقعده من النار، و معنى يتبوا يتزل و يحلّ، قال الشاعر:

و بوئت في صميم معشرها
فتمّ في قومها ميوؤها³

¹ — محمد صفاء شيخ إبراهيم حقّي، علوم القرآن من خلال مقدمات التفسير ، ص 447.

² — المرجع نفسه ، ص 449.

³ — القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مجلد 1 ، ص 32.

و لكون كثير مما تعرض له المصنف في مقدمته مسائل خلافية تباينت آراء العلماء فيها فقد اتخذ منهجا

واضحا في مناقشة مثل هذه المسائل ، يتمثل في الآتي :

1. ذكر المسألة المختلف فيها .

2. تعيين أصحاب الخلاف في الغالب ، و بيان وجهة كل فريق مع إيراد أدلتهم و مناقشتهم .

3. الترجيح بين الأقوال ، و الرد على المخالفين ، و ذكر الأدلة المرجحة.

و أشير هنا إلى أن القرطبي غالبا ما يكون موقفاً في اختياراته .

هذا و إذا رأى المصنف أن الذي رجحه و تبناه من الرأي ، إشكالا قد يفسد على القارئ مسوغات

الترجيح ، أسرع بذكر الإشكال و بالتالي رده و تنفيذه.¹

في منهج القرطبي رحمه الله إحالة القارئ إلى مزيد بيان ، و مزيد من الأدلة في ثنايا التفسير ، و ذلك خشية

الإطالة، خاصة إذا كانت المسألة التي تطرق لها متشعبة تحتاج إلى أكثر من وقفة ، و قد تكون الحالة إلى غير

التفسير مما هو من مظان المسألة.²

و من منهج المصنف أيضا أنه إذا استند بنص من أقوال أحد العلماء ، و رأى أنه لم يذكر من الأدلة ما

يطمئن به القارئ ، أو أنه لم يجمع أطراف المسألة ، فترك ما يراه المصنف أن من الأهمية ذكره ، تولى هو ذلك ،

فذكر من الأدلة المزيد و من الرأي و القول ما يجمع به أطراف المسألة.³

و أخيرا فإن القرطبي لا يترك المسائل التي يتطرق لها حتى يشبعها درسا و تمحيصا و تحليلا على ما يناسب

المقدمة.

و خلاصة القول قد تبع الإمام القرطبي الطبري أيضا في مقدمة تفسيره الكبير " الجامع لأحكام القرآن " و

ضممتها (12) نوعا من أنواع علوم القرآن و هي الآتية :

¹ — محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي، علوم القرآن من خلال مقدمات التفسير ، ص 450.

² — المرجع نفسه، ص 450.

³ — المرجع نفسه، ص 450.

1. فضائل القرآن (في 06 صفحات).
 2. آداب تلاوة القرآن و تزيين الصوت به و التحذير من الرياء به، و وجوب الإخلاص و العمل به (في 17 صفحة).
 3. تفسير القرآن (في 09 صفحات).
 4. طبقات المفسرين (في 03 صفحات).
 5. الأحرف السبعة (في 09 صفحات).
 6. جمع القرآن (في 10 صفحات).
 7. ترتيب السور و الشكل و النقط و التحزيب و التعشير و عدد حروفه و أجزائه و كلماته و آيه (في 08 صفحات).
 8. معنى السورة و الآية و الكلمة و الحرف (في 03 صفحات).
 9. المعرب (في صفحتين).
 10. إعجاز القرآن (في 09 صفحات).
 11. فضائل السور (في 03 صفحات).
 12. وجوب التزام مصحف الخليفة عثمان و الرد على ما طعن فيه بالزيادة و النقصان (في 06 صفحات).
- و نرى أن القرطبي قد اتبع خطة الطبري ، و ذكر الأنواع نفسها في مقدمته و لكنه أضاف إليها نوعين وهما: آداب التلاوة و وجوب التزام الخليفة عثمان.¹

¹ — الزركشي بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن ، ص 56 - 57 .

و خاتمة هذا الفصل و بإيجاز يمكن القول: إن أهمية مقدمات التفاسير تتبع من الآتي:

1. أنها النواة الأولى للتصنيف الموسوعي في علوم القرآن.
2. أنها تضمنت كثيرا من الأحاديث و الآثار المتعلقة بعلوم القرآن, و التي رواها المفسرون بأسانيدهم.
3. أنها حوت أقوال و آراء المفسرين في كثير من علوم القرآن و مسأله.
4. أنها تضمنت ردود و مناقشات المفسرين المتأخرين لآراء و أقوال أسلافهم المتقدمين، فكان في ذلك تحرير لكثير من المسائل المختلف فيها.
5. التسهيل و التيسير على القارئ في التفسير، حيث يجد القارئ مبتغاه و ما أشكل عليه من مراد المؤلف بين يديه ، فلا يلجأ إلى غيره لتوضيح ذلك.
6. أنها تقوي المعارف لدى القارئ دون الحاجة إلى الخوض في غمار المطولات من المصنفات.
7. أنها علامة هامة في بيان تطور علوم القرآن.

الفصل الثاني:

التأليف في علوم القرآن

المبحث الأول: الجانب الموضوعي لعلوم القرآن

المبحث الثاني: الجانب الموسوعي لعلوم القرآن

المبحث الثالث: استقلال التأليف في علوم القرآن

- كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي

- كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي

- دراسة موازنة -

• تمهيد:

اشترأت أعناق العلماء أن يعترضوا من تلك العلوم علما جديدا يكون جامعا لها ، و دليلا عليها ، و متحدثا عنها فكان هذا العلم هو ما نسميه " علوم القرآن " بالمعنى المدون ، فظهرت مصنفات كثيرة في فنون علوم القرآن المتنوعة و ارتقت تلك المؤلفات في معالجتها للموضوعات عن المرحلة السابقة و توسعت ، كما توسعت في نظرتها لمادة تلك الموضوعات ، حيث نهجت نهج الاستقراء و الاستيعاب للأنواع التي ألفت فيها.¹

و سار التأليف الموضوعي إلى جانب التأليف الموسوعي جنبا إلى جنب ، فمن العلماء من توجه للكتابة في علوم القرآن كفن مستقل ، و منهم من كتب في نوع من أنواعه ، و في فن من فنونه.

¹ — الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 15 .

● تمهيد :

لقد نال الجانب الموضوعي من التأليف عناية خاصة عند الباحثين لأنه أجدى و أكثر ضرورة من العلوم المجتمعة فقد أفرد العلماء القدامى تأليف خاصة في كل علم من علوم القرآن ، كان سابقا لجمع أطراف تلك العلوم في كتب موسوعية جامعة.

و على هذا الأساس اخترت أنواعا من علوم القرآن قد أفرد لها أصحابها مؤلفات خاصة و هي كالاتي :

1. أسباب النزول.
2. إعجاز القرآن.
3. إعراب القرآن.
4. غريب القرآن.
5. المحكم و المتشابه.
6. مناسبات القرآن.
7. الناسخ و المنسوخ.
8. الوجوه و الأشباه.

• أسباب النزول :

1. كتاب القصص و الأساليب التي نزل من أجلها القرآن: لأبي المطرف عبد الرحمن ابن عيسى بن أصبع المتوفى سنة (402 هـ).¹

2. كتاب أسباب النزول: لعلي بن أحمد بن محمد علي النيسابوري الواحدي المتوفى سنة (467 هـ).²

3. كتاب مدد الرحمن في أسباب نزول القرآن: لزين الدين عبد الرحمن بن علاء الدين علي بن إسحاق التميمي المقدسي الشافعي المتوفى سنة (786 هـ).³

4. كتاب لباب النقول في أسباب النزول: للحافظ عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة (911 هـ).

• إعجاز القرآن:

1. كتاب إعجاز القرآن: لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتوفى سنة (403 هـ).⁴

2. كتاب الكلام في وجوه إعجاز القرآن: لمحمد بن عبد السلام العكبري المتوفى سنة (413 هـ).

3. كتاب المغني في إعجاز القرآن: للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني المتوفى سنة (415 هـ).⁵

الرسالة الشافية في الإعجاز: لعبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة (471 هـ).

4. كتاب دلائل الإعجاز: لعبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة (471 هـ).

¹ — الشواخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، دار الرفاعي ، الرياض ، ط 1 ، سنة 1982 م ، ج 1 ، ص 133 .

² — ابن ثغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، ج 5 ، ص 104 .

³ — الشواخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، ج 1 ، ص 136 .

⁴ — الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاء ، ج 17 ، ص 190 .

⁵ — المصدر نفسه ، ج 17 ، ص 244 .

• إعراب القرآن:

1. كتاب البيان في إعراب القرآن: لأحمد بن محمد المعاري الأندلسي المتوفى سنة (429 هـ).¹
2. كتاب إعراب القرآن: لأبي الحسن علي بن إبراهيم الحوفي المتوفى سنة (430 هـ) ، مستخرج من تفسيره البرهان استخرجه إسماعيل بن خلف المقرئ الأنصاري.²
3. كتاب مشكل إعراب القرآن: لأبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة (437 هـ).³
4. كتاب الملخص في إعراب القرآن: لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي المتوفى سنة (502 هـ).⁴
5. البيان في إعراب غريب القرآن: لعبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري المتوفى سنة (577 هـ).⁵
6. كتاب التبيان في إعراب القرآن و يسمى (إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب و القراءات في جميع القرآن): لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري المتوفى سنة (616 هـ)⁶ و له إعراب القراءات الشواذ.⁷
7. كتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: للمتعب بن أبي العز الهمداني المتوفى سنة (643 هـ).⁸

¹ — الشواخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، ج 1 ، ص 181 .
² — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 1 ، ص 377 .
³ — الشواخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، ج 1 ، ص 192 .
⁴ — الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاء ، ج 19 ، ص 269 .
⁵ — الشواخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، ج 1 ، ص 181 .
⁶ — المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 118 .
⁷ — المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 174 .
⁸ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 1 ، ص 232 .

8. كتاب المجيد في إعراب القرآن المجيد: لإبراهيم بن محمد السفاقي الفقيه المالكي المتوفى

سنة (742 هـ).¹

9. كتاب إعراب القرآن: للحسن بن قاسم المرادي المصري المتوفى سنة (749 هـ).²

10. كتاب إعراب القرآن الكريم: لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي المتوفى سنة (745 هـ).

11. كتاب الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي المعروف

بالسمين المتوفى سنة (756 هـ).³

12. كتاب إعراب مواضع في القرآن (المسائل السفرية): لأبي محمد بن عبد الله بن يوسف بن

أحمد بن هشام الأنصاري المتوفى سنة (761 هـ).⁴

13. كتاب تحفة الإخوان في إعراب بعض آيات القرآن: لعبد الرحمن بن محمد الجزائري المعروف

بالتعالبي المتوفى سنة (875 هـ).⁵

14. كتاب ضمائر القرآن: لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرمانى المتوفى سنة (786 هـ).⁶

• غريب القرآن:

1. كتاب مشكل غريب القرآن: لأبي محمد مكى بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة (437 هـ).⁷

2. كتاب مفردات غريب القرآن: لحسين بن علي المعروف بالراغب المتوفى سنة (502 هـ).⁸

¹ — الشواخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، ج 1 ، ص 154 .

² — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 1 ، ص 142 .

³ — المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 102 .

⁴ — الشواخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، ج 1 ، ص 173 .

⁵ — المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 173 .

⁶ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 1 ، ص 174 .

⁷ — ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج 19 ، ص 180 .

⁸ — حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج 1 ، ص 71 .

3. كتاب تذكرة الأريب بما تفسير الغريب: لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة (597هـ)

و له غريب الغريب.

4. كتاب تحفة الأريب بما في القرآن الكريم من الغريب: لأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة (745هـ).¹

5. كتاب بهجة الأريب في غريب القرآن: لابن التركمان علي بن عثمان المارديني أبو الحسن المتوفى

سنة (750هـ).²

6. تفسير غريب القرآن: لأبي حفص عمر بن أبي الحسين علي بن أحمد الأنصاري ، المعروف بابن الملحق

المتوفى سنة (804هـ).

• القراءات القرآنية:

1. كتاب المنتهى في القراءات: لأبي الفضل محمد بن جعفر الخزاعي المتوفى سنة (408هـ).³

2. كتاب الروضة: لأحمد بن محمد العافري الطلمنكي المتوفى سنة (729هـ).⁴

3. كتاب التبصرة في القراءات السبع: لأبي محمد مكي بن أبي طالب المتوفى سنة (437هـ).⁵

4. كتاب الكشف عن القراءات السبع: لأبي محمد مكي بن أبي طالب المتوفى سنة (437هـ).⁶

5. كتاب التيسير في القراءات السبع: لأبي عمر عثمان بن سعيد الداني المتوفى سنة (444هـ).⁷

6. كتاب التمهيد : لأبي عمر عثمان بن سعيد الداني المتوفى سنة (444هـ).⁸

¹ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 290.

² — المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 420 .

³ — ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ، ج 1 ، ص 34 .

⁴ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 1 ، ص 79 .

⁵ — ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ، ج 1 ، ص 34 .

⁶ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 331 .

⁷ — ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ، ج 1 ، ص 34 .

⁸ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 1 ، ص 381 .

7. كتاب جامع البيان : لأبي عمر عثمان بن سعيد الداني المتوفى سنة (444 هـ).¹
8. كتاب الوجيز في القراءات: لأبي علي الحسن ابن إبراهيم الأهوازي المتوفى سنة (446 هـ) و له " الإيجاز" و " الإيضاح " و غيره . قال بن الجزري : " لم يلحقه أحد في هذا الشأن".²
9. كتاب الكامل في القراءات: ليوسف بن علي بن جبارة الهذلي المتوفى سنة (465 هـ).³
10. كتاب التلخيص في القراءات الثمان: لأبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري القطان المتوفى سنة (478 هـ) ، و له " الرشاد في القراءة الشاذة " ، و " سوق العروس " .

• المحكم و المتشابه:

1. كتاب حل الآيات المتشابهات: لمحمد بن الحسن بن فورك المتوفى سنة (406 هـ).⁴
2. كتاب المتشابهات في القرآن: للشريف الرضي محمد بن الحسين المتوفى سنة (406 هـ).⁵
3. كتاب متشابه القرآن: لعبد الجبار بن أحمد الهمداني الأسري المتوفى سنة (415 هـ).
4. كتاب درة التزليل و غرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز: لمحمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الاسكافي المتوفى سنة (431 هـ).⁶
5. كتاب مشكل القرآن: لمحمد بن أحمد بن مطرف الكناني أبو عبد الله المتوفى سنة (545 هـ).
6. كتاب البرهان في مشكلات القرآن: لأبي المعالي عزيزي بن عبد الملك بن منصور الجيلي المعروف بشيدلة المتوفى سنة (494 هـ).⁷

¹ — ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ، ج 1 ، ص 34 .

² — ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج 3 ، ص 374 .

³ — المرجع ، ج 3 ، ص 332 .

⁴ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 53 .

⁵ — الشواخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، ج 4 ، ص 204 .

⁶ — المرجع نفسه ، ج 4 ، ص 200 .

⁷ — حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج 1 ، ص 241 .

7. كتاب جامع البيان : لأبي عمر عثمان بن سعيد الداني المتوفى سنة (444 هـ).¹
8. كتاب الوجيز في القراءات: لأبي علي الحسن ابن إبراهيم الأهوازي المتوفى سنة (446 هـ) و له " الإيجاز" و " الإيضاح " و غيره . قال بن الجزري : " لم يلحقه أحد في هذا الشأن".²
9. كتاب الكامل في القراءات: ليوسف بن علي بن جبارة الهذلي المتوفى سنة (465 هـ).³
10. كتاب التلخيص في القراءات الثمان: لأبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري القطان المتوفى سنة (478 هـ) ، و له " الرشاد في القراءة الشاذة " ، و " سوق العروس " .

• المحكم و المتشابه:

1. كتاب حل الآيات المتشابهات: لمحمد بن الحسن بن فوراك المتوفى سنة (406 هـ).⁴
2. كتاب المتشابهات في القرآن: للشريف الرضي محمد بن الحسين المتوفى سنة (406 هـ).⁵
3. كتاب متشابه القرآن: لعبد الجبار بن أحمد الهمداني الأسريادي المتوفى سنة (415 هـ).
4. كتاب درة الترتيل و غرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز: لمحمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الاسكافي المتوفى سنة (431 هـ).⁶
5. كتاب مشكل القرآن: لمحمد بن أحمد بن مطرف الكناني أبو عبد الله المتوفى سنة (545 هـ).
6. كتاب البرهان في مشكلات القرآن: لأبي المعالي عزيزي بن عبد الملك بن منصور الجيلي المعروف بشيدلة المتوفى سنة (494 هـ).⁷

¹ - ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ، ج 1 ، ص 34 .

² - ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج 3 ، ص 374 .

³ - المرجع ، ج 3 ، ص 332 .

⁴ - الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 53 .

⁵ - الشواخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، ج 4 ، ص 204 .

⁶ - المرجع نفسه ، ج 4 ، ص 200 .

⁷ - حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج 1 ، ص 241 .

7. كتاب حل متشابهات القرآن: للراغب الأصفهاني الحسين بن محمد المتوفى سنة (502 هـ).¹
8. كتاب البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة و البيان: لبرهان الدين محمود بن حمزة بن نصر الكرماني المقرئ المتوفى سنة (505 هـ).²
9. كتاب تأويل متشابهات القرآن: لمحمد بن علي بن شهراسوب المتوفى سنة (588 هـ).³
10. كتاب تذكرة المنتبه في عيون المشتبه: لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى سنة (597 هـ).⁴
11. كتاب الآيات المتشابهات: لأحمد بن يزيد بن بقي بن مخلد المتوفى سنة (625 هـ).⁵
12. كتاب بيان مشتبه القرآن: لعيسى بن عبد العزيز اللخمي الاسكندري المتوفى سنة (629 هـ).⁶
13. كتاب ري الضمآن في متشابه القرآن: لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأندلسي المتوفى سنة (634 هـ).⁷
14. كتاب ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد و التعطيل في توجيه المتشابه من آي التزويل: لابن الزبير الفرناطي أحمد بن إبراهيم المتوفى سنة (708 هـ).⁸
15. كتاب رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات: لمحمد بن أحمد بن عبد المؤمن الأسعردى المعروف بابن اللبان المتوفى سنة (749 هـ).⁹

¹ — الشوآخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، ج 4 ، ص 199 .

² — حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج 1 ، ص 241 .

³ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 201 .

⁴ — الشوآخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، ج 4 ، ص 205 .

⁵ — الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاء ، ج 22 ، ص 274 .

⁶ — الشوآخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، ج 4 ، ص 196 .

⁷ — المرجع نفسه ، ج 4 ، ص 200 .

⁸ — ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج 6 ، ص 16 .

⁹ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 70 .

• مناسبات القرآن:

1. كتاب نظم السور: لأبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري المتوفى سنة (449 هـ).¹
2. كتاب البرهان في ترتيب سور القرآن: لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي المتوفى سنة (708 هـ).²
3. كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات و السور: لبرهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي المتوفى سنة (885 هـ)³ و له دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم.⁴
4. كتاب تناسق الدرر في تناسب السور: لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة (911 هـ).⁵
5. كتاب ربط السور و الآيات: لمحمد بن مبارك المعروف بحكيم شاه القزويني المتوفى سنة (920 هـ).⁶
6. كتاب نظم سور القرآن: لعبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد المكناسي المتوفى سنة (964 هـ).⁷

• الناسخ و المنسوخ:

1. كتاب الناسخ و المنسوخ: لعبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس المتوفى سنة (402 هـ).⁸
2. كتاب الناسخ و المنسوخ من القرآن العظيم: لأبي القاسم هبة الله بن عبد السلام البغدادي المفسر الضريير المتوفى سنة (410 هـ).⁹

¹ — حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج 2 ، ص 963.

² — ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج 6 ، ص 16.

³ — الشواخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، ج 1 ، ص 71 .

⁴ — ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج 8 ، ص 339.

⁵ — الشواخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، ج 1 ، ص 32 .

⁶ — المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 51 .

⁷ — المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 72 .

⁸ — المرجع نفسه ، ج 4 ، ص 242 .

⁹ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 348.

3. كتاب الناسخ و المنسوخ: لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر الإسفرائيني المتوفى

سنة (429 هـ).¹

4. كتاب الإيضاح في ناسخ القرآن و منسوخه و عرفة أصوله و اختلاف الناس فيه: لأبي محمد

مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة (437 هـ).

5. كتاب الناسخ و المنسوخ: لأبي محمد علي بن حزم الظاهري المتوفى سنة (456 هـ).²

6. كتاب الناسخ و المنسوخ: لأبي الوليد سليمان بن خلف التجي الباجي المتوفى

سنة (474 هـ).³

7. كتاب الإيجاز في الناسخ و المنسوخ: محمد بن بركات بن هلال بن عبد الواحد السعدي

المصري المتوفى سنة (520 هـ).⁴

8. كتاب ناسخ القرآن و منسوخه: لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي

المتوفى سنة (543 هـ).⁵

9. كتاب الموجز في الناسخ و المنسوخ: لأبي القاسم محمود بن أبي الحسن النيسابوري الغزنوي

المتوفى سنة (550 هـ).⁶

10. كتاب رسوخ الأخبار في الناسخ و المنسوخ من الأخبار: لابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن

بن علي بن محمد المتوفى سنة (597 هـ).⁷

¹ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 1 ، ص 332.

² — الشواخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، ج 4 ، ص 243 .

³ — المرجع نفسه ، ج 4 ، ص 243 .

⁴ — المرجع نفسه ، ج 4 ، ص 227 .

⁵ — السيوطي جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 19 .

⁶ — ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج 19 ، ص 124 .

⁷ — الشواخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، ج 4 ، ص 230 .

11. كتاب الناسخ و المنسوخ: لعلي بن محمد بن محمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي المعروف بابن الحصار المتوفى سنة (611 هـ).¹
12. كتاب الطود الراسخ في الناسخ و المنسوخ: لعلم الدين السخاوي علي بن محمد بن عبد الصمد المتوفى سنة (643 هـ).²
13. كتاب رسوخ الأخبار في الناسخ و المنسوخ من الأخبار: برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل أبو إسحاق الشافعي المتوفى سنة (732 هـ).
14. كتاب الناسخ و المنسوخ: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الإسفراييني العامري.³
15. كتاب ناسخ القرآن العزيز و منسوخه: لشرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن البارزي المتوفى سنة (738 هـ).⁴
16. كتاب ناسخ و منسوخه: ليحيى بن عبد الله الواسطي الشافعي المتوفى سنة (738 هـ).
17. كتاب عقود القيان في الناسخ و المنسوخ في القرآن: لمحمد بن المطهر بن يحيى بن المرتضى المتوفى سنة (728 هـ).⁵
18. كتاب الناسخ و المنسوخ: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة (852 هـ).⁶
19. كتاب ناسخ القرآن و منسوخه: لشهاب الدين أحمد بن إسماعيل الأباشيبي المتوفى سنة (883 هـ).⁷

¹ - السيوطي جلال الدين ، الإتيقان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 19 .

² - حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج 2 ، ص 1118 .

³ - الشواخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، ج 4 ، ص 246 .

⁴ - الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 350 .

⁵ - الشواخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، ج 4 ، ص 231 .

⁶ - المرجع نفسه ، ج 4 ، ص 246 .

⁷ - المرجع نفسه ، ج 4 ، ص 244 .



20. كتاب الآيات التي فيها الناسخ و المنسوخ: لإبراهيم بن محمد المعروف بابن أبي شريف

المقدس المتوفى سنة (923 هـ).¹

• الوجوه و الأشباه و النظائر:

1. كتاب الأشباه و النظائر في القرآن الكريم : لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي المتوفى

سنة (429 هـ).²

2. كتاب وجوه القرآن : لإسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري الضرب المتوفى سنة (430 هـ).³

3. كتاب الوجوه و النظائر : للحسن بن أحمد بن البناء البغدادي الحنبلي المتوفى سنة (471 هـ).⁴

4. كتاب إصلاح الوجوه و النظائر في القرآن الكريم : للحسين بن محمد الدامغاني المتوفى

سنة (478 هـ).⁵

5. كتاب الوجوه و النظائر : لعلي بن عبيد الله الزاغوني الحنبلي المتوفى سنة (527 هـ).⁶

6. كتاب نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر: لعبد الرحيم بن الجوزي المتوفى سنة (579 هـ).⁷

7. كتاب الذخائر في الأشباه و النظائر : لعبد الرحمن بن علي بن إسحاق التميمي الداري المتوفى

سنة (876 هـ).⁸

8. كتاب كشف الستائر في معنى الوجوه و الأشباه و النظائر: لمحمد بن محمد بن علي البليسي المعروف

بابن العماد المتوفى سنة (887 هـ).⁹

¹ — ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج 8 ، ص 118.

² — المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 246 .

³ — المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 338.

⁴ — حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج 2 ، ص 2001.

⁵ — الشوآخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، ج 4 ، ص 256 .

⁶ — ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج 4 ، ص 80.

⁷ — حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج 2 ، ص 2001.

⁸ — الشوآخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، ج 4 ، ص 258.

⁹ — المرجع نفسه ، ج 4 ، ص 258 .

9. معترك الأقران في مشترك القرآن: لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة (911 هـ).¹

و نستطيع القول في النهاية أن المؤلفات التي خص بها العلماء نوعاً من أنواع علوم القرآن كان توجهها نحو تحديد كثير من المفاهيم المتعلقة بعلوم القرآن ، و تمحيص الكتابات السابقة ، فوضعت الضوابط و القواعد التي جعلت الكتابة أكثر موضوعية ، و التي ساهمت إلى حد كبير في إسقاط ما كان حشواً و فضولاً من الأقوال و الآراء التي وجدت في المراحل المتأخرة من المرحلة السابقة.

¹ - الشواخ علي إسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم ، ج 4 ، ص 260.

المبحث الأول:

الجانب الموسوعي لعلوم القرآن

● تمهيد:

رأينا في المباحث السابقة كيف بدأ التأليف في " علوم القرآن " كل فن منها على حدة ، ثم كيف جمعها بعض العلماء مع غيرها في كتب التفسير الكبيرة ، أو في مقدماتها ، وسنرى في هذا المبحث بداية استقلال التأليف بها كفن ، و جهود العلماء و تأليفهم فيها و لعل ظهور التأليف الموسوعي الجامع لعلوم القرآن هو السمة الجديدة في هذه المرحلة ، حيث كانت في البداية محاولات لضم مجموعة من العلوم الهامة و التي كثرت في تفسيرها الأقوال و تعددت المذاهب ، و تضمنت تلك المؤلفات علوماً بعدد ، ثم سرعان ما اتجهت المهتم لجمع العلوم التي تخدم النص القرآني في كتاب واحد.

و على هذا الأساس سأذكر مجموعة من المؤلفات التي اختلف الباحثون في تصنيفها باعتبارها كتب ألفت في التفسير أم في علوم القرآن ، و حاولت الوقوف في هذا المبحث أيضاً على جملة الآراء المختلفة حول تحديد أول من صنف في علوم القرآن كعلم مستقل بذاته.

1- كتاب فهم القرآن:

لأبي عبد الله الحارث بن أسد الحاسبي المتوفى سنة (243 هـ) قال فاروق حمادة: " فعدّ كتاب الحارث في طليعة علوم القرآن كفن مدوّن " و ألقبها بالمعنى الاصطلاحي لعلوم القرآن.¹

فالمؤلف عالج موضوعات هامة من علوم القرآن ، و إن لم يكن هدفه تأليف كتاب مستقل في علوم القرآن ، بقدر ما كان يهدف منه الحديث عن نهج العقل المؤمن، و الموضوعات التي بحثها المؤلف هي: فضائل القرآن ، فقه القرآن ، المحكم و المتشابه ، ما لا يجوز النسخ فيه و ما يجوز فيه ، الناسخ و المنسوخ في الأحكام ، في أساليب القرآن ، التقديم و التأخير ، الإضمار ، الحروف الزائدة ، الموصول و الموصول . هذه موضوعات كتاب الحارث الحاسبي في فهم القرآن ، و هي كما يراها القارئ موضوعات من صلب مباحث القرآن.

¹ - فاروق حمادة ، مدخل إلى علوم القرآن و التفسير ، مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب ، ط 1 ، سنة 1978 م ، ص 10 .

نفهم من خلال الموضوعات السابقة أن المحاسبي هو أول من وضع نواة لعلوم القرآن بالمعنى الموسوعي الصحيح لأنه لم يجاور في موضوعاته دائرة تلك العلوم.

2- التنبيه على فضل علوم القرآن:

لابن الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب أبو القاسم النيسابوري المتوفى سنة (402 هـ) ، الذي كتب كتابه خاصة عن فضل القرآن ، و قد حقق هذا الكتاب محمد الكريم الرّاضي و تكلم عن بعضه في مجلة المورد حيث قال : " إن من أشرف علوم القرآن ، علم نزوله و جهاته ، و ترتيب ما نزل بمكة ابتداء و وسطا ... إلخ " ، فذكر خمسة و عشرين وجها ، ثم قال مفصلا لما أجمل : " و أنا أذكر من كل وجه منها فصلا غير مشروح ولا مبسوط لئلا يطول الكتاب.¹

3- كتاب البرهان في علوم القرآن :

لعلي بن إبراهيم بن سعيد الشهرير بالحوفي المتوفى سنة (430 هـ) ، قال ياقوت: " بلغني أنه يقع في ثلاثين مجلدا بخط دقيق.²

و قد ذكر الزرقاني أن كتاب الحوفي هو أول تصنيف ظهر في علوم القرآن بالمعنى المصطلح عليه ، حيث قال : " لقد كان المعروف لدى الكاتبين في تاريخ هذا الفن ، أن أول عهد ظهر فيه هذا الاصطلاح - أي اصطلاح علوم القرآن - هو القرن السابع " .

و قال أيضا : " ظُهِرَتْ في دار الكتب المصرية بكتاب لعلي بن إبراهيم بن سعيد الشهرير بالحوفي المتوفى سنة (430 هـ) اسمه " البرهان في علوم القرآن " ، إلى أن قال : " و إذن نستطيع أن نتقدم بتاريخ هذا الفن

نحو قرنين من الزمان ، أي إلى بداية القرن الخامس بدلا من القرن السابع " .³

¹ - محمد عبد الكريم الرّاضي ، التنبيه على فضل القرآن ، مجلة المورد ، العدد 4 ، المجلد 17 ، سنة 1988 م ، ص 307 .

² - ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج 12 ، ص 221 .

³ - الزرقاني ، مناهل العرفان ، المجلد 1 ، ص 28 .

و قال في موضع آخر : " إن علوم القرآن استهلكت صارخة على يد الحوفي في أواخر القرن الرابع و أوائل الخامس"¹. و قال في موضع ثالث من كتابه المناهل : " و لا نعلم أحدا قبل المئة الرابعة للهجرة ألف أو حاول أن يؤلف في علوم القرآن بالمعنى المدون"².

و لعل الأستاذ الزرقاني هو أول من تبنى هذا الرأي كما يظهر من مقولته ، و قد تبعه ثلة من الذين ألفوا في علوم القرآن³ فيما بعد.

إلا أن ياقوت الحموي في معجمه السابق ذكر أن الحوفي سمي كتابه " البرهان في تفسير القرآن"⁴ ، و قال الداودي : " له - أي الحوفي - تفسير جيد سماه " البرهان في تفسير القرآن"⁵ ، و بنحو ذلك قال السيوطي و حاجي خليفة و غيرهما⁶. و قال أبو شهبه : " و قد رجعت إلى كتاب كشف الظنون فتبين لي أن اسم الكتاب " البرهان في تفسير القرآن " ، و بذلك زالت السهبة في عدّه من علوم القرآن ، و ثبت أنه كتاب تفسير و هو الحف و الصواب⁷.

و قد أقرّ الأستاذ الزرقاني نفسه بهذه الحقيقة حين استعرض الكتاب و قال : " إن الكتاب أتى على علوم القرآن و لكن لا على طريقة ضم النظائر و الأشباه بعضها إلى بعض تحت عنوان واحد لنوع واحد ، بل على طريقة النشر و التوزيع تبعا لانتشار الألفاظ المتشاكلة في القرآن و توزعها "⁸.

و قال أيضا : " حتى كأن هذا التأليف تفسير من التفاسير عرض فيه صاحبه لأنواع علوم القرآن عند المناسبات "⁸.

¹ - الزرقاني ، مناهل العرفان ، مجلد 1 ، ص 32.

² - المصدر نفسه ، مجلد 1 ، ص 26 .

³ - محمد بكر إسماعيل ، دراسات في علوم القرآن ، دار المنار ، ط 1 ، سنة 1990 م ، ص 17

⁴ - ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج 12 ، ص 221 .

⁵ - الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 1 ، ص 388 .

⁶ - حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج 1 ، ص 241 .

⁷ - أبو شهبه محمد ، المدخل لدراسة القرآن الكريم ، دار اللّواء ، الرياض ، ط 1 ، سنة 1986 م ، ص 35 .

⁸ - الزرقاني ، مناهل العرفان ، المجلد 1 ، ص 28 .

و يرى الداودي في كتابه " طبقات المفسرين " أن الكتاب مسبوق بالتأليف ، و من الذين سبقوه في هذا المضمار الحارث المحاسبي المتوفى سنة (243 هـ) بكتابه " فهم القرآن " ، أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري المتوفى سنة (406 هـ) بكتابه " التنبيه على فضل علوم القرآن " ، هذا حسب الاصطلاح و إلا فلو نظرنا بإعتبار التسمية فإن هناك من سبقه أيضاً مثل محمد بن خلف بن المرزبان المتوفى سنة (309 هـ) بكتابه " الحاوي في علوم القرآن " ¹ و أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى سنة (334 هـ) بكتابه " المختزن في علوم القرآن " ² و محمد بن علي الأدفوي المتوفى سنة (388 هـ) بكتابه " الاستغناء في علوم القرآن " ³.

4- كتاب الحاوي في علوم القرآن:

محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام المحوّلي المتوفى سنة (309 هـ) ⁴ و يقع في نحو من سبعة و عشرين جزءاً. و كتاب ابن المرزبان كتاب في التفسير و ليس في علوم القرآن و إن حمل مصطلح علوم القرآن ، يدل على ذلك سعته فقد جاء في ثلاثين مجلداً ، في عصر لم يكن البحث في علوم القرآن بالمعنى المقصود قد بلغ نصيف هذا الاتساع. ⁵

¹ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 1 ، ص 146 .

² — الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاء ، ج 10 ، ص 88 .

³ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 1 ، ص 398 .

⁴ — المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 146 .

⁵ — ابن الجوزي أبي الفرج ، فنون الأفيان في عيون علوم القرآن ، مقدمة المحقق: حسن ضياء الدين عنتر ، دار البشائر الإسلامية ، ط 1

سنة 1987 م ، ص 73 .

5- كتاب عجائب علوم القرآن:

المنسوب لأبي بكر محمد بن محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ابن الأنباري المتوفى سنة (328 هـ).¹ و قد انتصر لهذا القول فضيلة الدكتور حسن ضياء الدين عتر ، الذي قال في تحقيقه لكتاب " فنون الأفتان لابن الجوزي " :
و إني أتوقع أن يكون أسبق كتاب في هذا المضمار هو " عجائب علوم القرآن " للإمام الجليل أبي بكر محمد بن القاسم الانباري المتوفى سنة (328 هـ).²

غير أن فهد الرومي يرى أن الكتاب المذكور ليس لأبي بكر الأنباري بل هو كتاب " فنون الأفتان في عجائب علوم القرآن " لابن الجوزي و سبب وقوع هذا الوهم نسخة مخطوطة في مكتبة البلدية بالإسكندرية أخطأ مفهرسو المكتبة في معرفة المؤلف فنسبها لأبي بكر الأنباري.³

6- كتاب فنون الأفتان في عيون علوم القرآن:

لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري المعروف بابن الجوزي المتوفى سنة (597 هـ)⁴ و الكتاب مطبوع عدة طبعات.

كان المعروف لدى الكاتبين في هذا الفن أن ظهور هذا الاصطلاح كان في القرن السادس هجري على يد أبي الفرج بن الجوزي ، استنتاجاً من الذي ذكره السيوطي في مقدمة الإتيان.⁵

و كان ممن انتصر لهذا القول فضيلة الشيخ غزلان في كتابه " البيان في مباحث علوم القرآن " فقد ذكر بعد أن عرض لحركة التأليف في علوم القرآن أن ابن الجوزي هو السابق في التصنيف في هذا الفن و قال : " فمن هذا كله يتبين لنا أنه لم يُعرف أن أحداً قبل ابن الجوزي جمع هذه الأبحاث و سماها باسم علوم القرآن.⁶

¹ — الداودي محمد بن علي ، طبقات المفسرين ، ج 2 ، ص 228 .

² — ابن الجوزي أبي الفرج ، فنون الأفتان في عيون علوم القرآن ، مقدمة المحقق ، ص 73 .

³ — الرومي فهد عبد الرحمن ، دراسات في علوم القرآن ، دار المنار ، ط 1 ، سنة 1990 م ، ص 46 .

⁴ — الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاء ، ج 21 ، ص 365 .

⁵ — أبو شهبة محمد ، المدخل لدراسة القرآن الكريم ، ص 34 .

⁶ — الغزلان عبد الوهاب ، البيان في مباحث علوم القرآن ، دار التأليف ، القاهرة ، ص 41 .

و قد ضمن ابن الجوزي كتابه عشرة أنواع في علوم القرآن و ذكر في مقدمته أنه وضعه بعد أن ألف كتابا في علوم الحديث اسمه " التلخيص في غرائب علوم الحديث " و ساق في كتابه الأنواع التالية : فضائل القرآن ، في أن القرآن غير مخلوق ، الأحرف السبعة ، كتابة المصحف و هجاؤه ، عدد سور القرآن و آياته و كلماته و حروفه و نقطه ، نقط القرآن ، أجزاء القرآن ، المكي و المدني ، اللغات في القرآن الأعجمي و المعرب ، الوقف و الابتداء ، التفسير ، النسخ ، المحكم و المتشابه الأوصاف التي شاركت فيها أممنا الأنبياء . و عرض لهذه الأنواع بأسلوب موجز و ساق أقوال السابقين و اعتمد على مصادرهم في نقله .

7- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز :

لمؤلفه أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي المتوفى سنة (660 هـ) و ضمنه خمسة أنواع : كيفية نزول القرآن و تلاوته و ذكر حفاظه في ذلك الزمان ، جمع القرآن ، الأحرف لسبعة ، القراءات ، آداب القارئ و الإقبال على ما ينفع من علوم القرآن و العمل بها و ترك التعمق في تلاوة ألفاظه و الغلو بسببها .

8- البرهان في علوم القرآن :

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المتوفى سنة (794 هـ) و سنرى الكلام عنه مفصلا في استقلال التأليف في علوم القرآن و كان كتابه بحق أول كتاب جامع لمعظم علوم القرآن .

9- الإتقان في علوم القرآن :

للإمام جلال الدين البلقيني عبد الرحمن بن عمر بن رسلان المتوفى سنة (824 هـ) و سنرى الكلام عنه مفصلا مع كتاب البرهان في علوم القرآن في المبحث الآتي .

المبحث الثالث:

استقلال التأليف في علوم القرآن

- كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي

- كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي

- دراسة موازنة -

● تمهيد:

إن غالب الذين صنفوا علوم القرآن قد أجادوا في عرض الموضوعات و معالجتها - مع تفاوت بينهم في هذه الإجابة - غير أننا نقر و نعتز بالفضل للزركشي صاحب " البرهان " الذي جاء في منتصف هذه المرحلة ، و الذي تولى ريادة هذا المنهج العلمي الدقيق في عرض الموضوعات ، الذي سار عليه جل من جاء بعده ، حتى الحافظ السيوطي صاحب أشهر المصنفات في هذا الفن أقر بذلك فقال: " و رتبت أنواعه (أنواع علوم القرآن) ترتيبا أنسب من ترتيب البرهان ، و أدمجت بعض الأنواع في بعض و فصلت ما حقه أن يبان ، و زدته على ما فيه من الفوائد و الفرائض و القواعد و الشوارد ما يشنف الآذان"¹.

و ما دام السيوطي قد اعتمد في إتقانه على " البرهان " إذا نظرنا إلى الزركشي على أنه أول من سبق للتأليف في علوم القرآن كعلم مستقل، و جب علينا أن نضع موازنة بين الكتابين (باختصار) ، لإبراز أنواع علوم القرآن التي بلغت ذروتها في الجمع و الإستقصاء على يد هذين العالمين الجليلين اللذان كان لهما الأثر الواضح في مجالات الدراسات القرآنية إلى يومنا.

● البرهان في علوم القرآن:

لمؤلفه الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المتوفى سنة (794 هـ) . الذي يعتبر أول جامع لعلوم القرآن بشكل شامل و ما من شك أنه كان أمام مهمة شاقة و عسيرة و قد قدم الزركشي لكتابه بمقدمة هامة يبين فيها فضائل القرآن ، و ساق فيها أقوال الأئمة في ذلك و استعرض بإيجاز نشأة القرآن و تطوره ، و ذكر أعلام علمائه و خلص بعد ذلك لذكر الدافع له على تأليف كتابه ، و هو أنه لم يجد فيما كتبه السابقون كتابا جامعاً لعلوم القرآن ثم استعرض عناوين أنواع التي ضمنها في كتابه.

و قد وقف الزركشي في جمع معظم علوم القرآن في كتابه و في تقسيمه لأنواع الكتاب ، و في عرض كل فن منها عرضاً علمياً ، و تفاوتت الأنواع عنده ، من حيث التوسع في العرض و الاختصار ، تفاوتاً كبيراً .

¹ - السيوطي جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 20 .

= الإتقان في علوم القرآن :

لمؤلفه جلال الدين البلقيني عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة (911 هـ). يقول حاجي خليفة :
 " الإتقان في علوم القرآن مجلد أوله الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب إلخ للشيخ جلال الدين البلقيني
 عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة (911 هـ) و هو أشبه آثاره و أفيدها " ، ذكر تصنيفه شيخه
 الكافيجي و استصغره "مواقع النجوم" للبلقيني و استقله ، ثم أنه وجد " البرهان " للزرکشي كتابا جامعا بعد
 تصنيفه "التحجير" فاستأنف و زاد عليه إلى ثمانين نوعا و جعله مقدمة لتفسيره الكبير الذي شرع فيه و سماه
 " مجمع البحرين " ¹.

و السيوطي في عرضه لمادة البحث يستعين بأقوال أئمة الفن الذي يتكلم عنه و هو يسميهم في كثير من
 الأحيان و قد يسمي كتبهم التي نقل منها ، ولكنه يتصرف في النقل ، و يضع العبارات المنقولة بأسلوبه ، و قد
 حفل كتابه بأسماء كثيرة من الأئمة الأعلام في علوم القرآن و اللغة و الحديث و الفقه ، و أسماء كثيرة من
 المؤلفات المتنوعة في علوم القرآن و غيرها بالشواهد القرآنية الغزيرة و الشواهد الحديثة و الأمثال العربية ، و
 الأشعار و الأراجاز ، و صار موسوعة قرآنية ، ضمت بين ضفتيها كل ما يتعلق بعلوم القرآن الكريم وهذا ما
 نجده في كتاب " البرهان " .

¹ — حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج 1 ، ص 8 .

• " البرهان " و " الإتيقان " في الميزان :

إن الدافع الحقيقي لإجراء دراسة موازنة بين هذين الكتابين هو ما وجدته من اشتراك في موضوعات علوم القرآن و الهدف من هذه الدراسة هو الاطلاع أكثر على أهمية كل منهما في تطور التأليف في علوم القرآن ، و للتوضيح ضمّنت الأنواع التي تطرق لها كل من الزركشي و السيوطي في أربعة جداول حسب الترتيب الآتي:

- الجدول الأول : أنواع علوم القرآن في كتاب " البرهان " .
- الجدول الثاني : الأنواع المشتركة في " الإتيقان " و " البرهان " .
- الجدول الثالث: الأنواع التي انفرد بها " البرهان " .
- الجدول الرابع: الأنواع الزائدة في " الإتيقان " على ما في " البرهان " .

• الجدول الأول : أنواع علوم القرآن في كتاب " البرهان "

عدد صفحاته	اسم النوع	رقم النوع
13	أسباب النزول	01
12	الآيات المتشابهة في الصفات	37
11	جمع القرآن و حفظه من الصحابة	13
11	فضائل سورة	28
10	أسمائه و اشتقاقها	13
10	بلاغته	20
10	الحكم و المتشابهة (في المعاني)	36
09	الوجوه و النظائر	04
09	مبهمات	06
09	أمثاله	31
07	فصاحته	21
06	غريبه	18
05	خواتم السور	08
05	أول ما نزل و آخره	10
05	الاقتباس و التضمين	30
05	ناسخه و منسوخه	24
04	كيفية إنزاله	12
04	ما فيه من غير لغة قريش	16
04	ما فيه من المعرب	17

تابع للجدول السابق:

عدد صفحاته	اسم النوع	رقم النوع
04	تصريفه	19
04	خواصه	27
04	جدله	33
03	توجيه قراءاته	23
02	فضائله	26
779	أساليب القرآن وفنونه البلاغية	46
270	الكلام على المفردات من الأدوات	47
70	التفسير و التأويل	41
66	أقسام معنى الكلام	45
56	مرسوم الخط	25
49	الفواصل و رؤوس الآيات	03
45	حقيقته و مجازه	43
44	المتشابه (اللفظي)	05
37	وجوه المخاطبات	42
35	إعجازه	38
24	الوقف و الابتداء	24
32	آداب تلاوته	29
29	تقسيم سوره و آياته	14
23	الموهم و المختلف	35

• الجدول الثاني : الأنواع المشتركة في " الإتيقان " و " البرهان " .

اسم النوع	رقم النوع في البرهان	رقم النوع في الإتيقان
آداب تلاوته	29	35
الأدوات التي يحتاج إليها المفسر	47	40
مبهماتة	06	70
جدله	33	68
جمعه	13	18
حقيقته و مجازه	43	52
محكمه و متشابهه	36	43
في خواتم السور	07	61
خواصه	27	75
مرسوم الخط	25	76
سبب النزول	01	09
أسماء القرآن و أسماء سوره	15	18
المتشابهة(اللفظي)	05	63
المشكل و الموهم (الاختلاف و التناقض)	37 و 35	48
إعجازه	37	64
إعرايه	20	41
ما فيه من غير لغة العرب	17	38
غريبه	18	36
تفسيره	41	77

تابع للجدول السابق:

اسم النوع	رقم النوع في البرهان	رقم النوع في الإلتقان
أفضل القرآن و فاضله	27	73
فضائله	26	72
كنايته و تعريفه	44	45
ما فيه من غير لغة الحجاز	16	37
أمثاله	31	66
المكية و المدنية	09	01
كيفية إنزاله	12	16
أول ما نزل و آخر ما نزل	10	07 و 08
مناسبات الآيات و السور	02	62
نسخه و منسوخه	34	47
متواتره و مشهوره و آحاده و شاذه	39	22 و 27
وجوهه و نظائره	04	39
الوقف و الابتداء	24	27

● الجدول الثالث: الأنواع التي انفرد بها " البرهان " .

اسم النوع	رقم النوع
مجاز القرآن	43
أحكامه	32
معرفة الوجوه المخاطبات	42
معرفة توهم المختلف	35
أسرار الفواتح	07
أساليب القرآن	46
تصريفه	19
تضمين الآيات في الرسائل و الخطب	30
معاوضة السنة للكتاب	40
فصاحة القرآن	21
الفواصل و رؤوس الآيات	03
قراءاته	22
توجيه قراءاته	23
أقسامه	67
تقسيمه بحسب سوره و ترتيب السور و الآيات و عددها	14
لغة القرآن (الأحرف السبعة)	11

● الجدول الرابع: الأنواع الزائدة في " الإتيقان " على ما في " البرهان " .

اسم النوع	رقم النوع
الأرضي و السمائي	06
بديع القرآن	57
مجمله و مبينه	46
في الحصر و الاختصاص	55
معرفة الحضري و السفري	02
معرفة حفاظه و رواته	20
في كيفية تحمله	34
في الخبر و الإنشاء	57
في تخفيف الهمز	33
في الإدغام و الإظهار و الإخفاء و الإقلاب	31
في ما وقع في القرآن من الأسماء و الكنى و الألقاب	69
تشبيهه و استعاراته	53
الصيفي و الشتائي	04
طبقات المفسرين	80
مطلقه و مقيده	49
العالي و النازل من أسانيد	21
عامه و خاصه	45
غرائب التفسير	79

تابع للجدول السابق:

اسم النوع	رقم النوع
الفراشي و النومي	05
شروط المفسر و آدابه	78
مقدمه و مؤخره	44
قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها	42
المد و القصر	32
الإمالة و الفتح و ما بينهما	30
العلوم المستنبطة من القرآن	65
في أسماء ما نزل فيهم القرآن	71
ما أنزل منه على بعض الأنبياء	15
ما نزل مُشْتَبِعاً و ما نزل مفردا	14
ما تأخر حكمه عن نزوله و العكس	12
ما نزل مفردا و ما نزل جمعا	13
فيما أنزل على لسان بعض الصحابة	10
منطوقه و مفهومه	50
النهاري و الليلي	03
الإيجاز و الإطناب	56
الموصول لفظا المفصول المعنى	29

نستنتج من الجداول السابقة أن أنواع علوم القرآن بلغت عند الزركشي سبعة و أربعون بينما السيوطي ثمانين نوعا ، و بذلك يكون قد أضاف ثلاثة و ثلاثين نوعا على ما في البرهان ، و هذه الزيادة منها ما هو توسعة لنوع واحد عند الزركشي ، كالنوع العاشر في " البرهان " .

نلاحظ أن السيوطي قد تصرف في الأنواع التي أخذها من البرهان فقدم بعضها و أخر بعضها الآخر ، و وسّع بعضها و من أمثلة تقديمه و تأخيره للأنواع ، أنه جعل النوع الأول في " البرهان " و هو: سبب النزول ، تاسعا في " الإتيان " و التاسع في " البرهان " و هو: المكي و المدني ، أولا عنده و الرابع في " البرهان " و هو: الوجوه و النظائر ، تاسعا و ثلاثين عنده ، و هكذا.....

● قمة و تحقيق:

قد يتساءل الباحث ما مدى اعتماد السيوطي على " البرهان " و ما قيمة كتابه أمامه ؟ و الواقع أن الإجابة عن هذا التساؤل أمر شاق و عسير ، لأن الباحث يجد نفسه أمام فريقين من العلماء تجاه السيوطي نفسه و اتجاه كتبه ، فبعضهم يغالي بدمه و يرميه بأنه أغار على محتويات المكتبة المحمودية و نسبها لنفسه ، و البعض الآخر يقدره و يصفه بالنبوغ ، و يجله عما رماه به حاسدوه من الانتحال ، و مهما يكن من أمر ، فإن الكتابين هما خير حكم للفصل في هذا الأمر و هما مطبوعان و متوفران بين أيدي الباحثين ، و يستطيع القارئ أن يحكم بنفسه على قيمة كل منهما إذا ما أجرى مقارنة بسيطة بينهما.¹

يقول حاجي خليفة في الكلام على البرهان - كما سبق - (و السيوطي أدرجه في الاتقان) و هذه قمة خطيرة سبقه بها غيره من حساده و الواقع أن المنزلة الكريمة التي نالها السيوطي في حياته و وفرة فتاويه و أماليه و مصنفاته أثارت خصومة بينه و بين منافسيه من أقرانه و عرضته لمختلف الطعون ، فرمي بالسطو على كتب المكتبة..... و قد انتصر السيوطي لنفسه في عدة كتب منها " الكاوي على تاريخ السخاوي " ، و " الجواب الزكي عن قمامة ابن الكركي " ، و " القول الجمل في الرد على المهمل " ، و " الصارم الهندي في عنق ابن

¹ - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، مقدمة المحقق: يوسف المرعشلي ، ص 77 .

الكركي " ، كما انتصر له أمين الدين الأقصراني و زيد الدين قاسم الحنفي ، و سراج الدين قاسم الحنفي ، و سراج الدين العبادي ، و الفخر الديميّ و كثير من تلاميذه و مريديه.¹

و يضيف يوسف المرعشلي في تحقيق التهمة و تنفيذها بقوله : " و كان رحمه الله إلى جانب علمه و وفرة محصوله عفيفاً كريماً ، صالحاً تقياً رشيداً ، لا يمد يده إلى سلطان ، و لا يقف من حاجة على باب أمير أو وزير.... فمن المستبعد من حمدت سيرته أن يلجأ إلى انتحال كتب غيره ليكسب بها شهرة دنيوية رخيصة بين أقرانه".²

• قول السيوطي في البرهان:

شهد السيوطي للزركشي بالريادة في هذا لباب لكن على سبيل البسط و الإحصاء و السير على منهج الاستقصاء فقد قال في خطبة كتابه : " خطر لي بعد ذلك - يعني بعد تأليف كتاب التحبير - أن أؤلف كتاباً مبسوطاً ، و مجموعاً و مضبوطاً أسلك في طريق الإحصاء ، و أمشي فيه على منهاج الاستقصاء ، هذا كله و أنا أظن أبي متفرد في ذلك غير مسبوق في الخوض في هذه المسائل،....." إلى أن قال: " إذ بلغني أن الشيخ الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ألف كتاباً في ذلك حافلاً يسمى " البرهان في علوم القرآن " فتطلبته حتى وقفت عليه ".³

و ذكر أنه فرح بهذا الكتاب لما سمع به و أنه حصل عليه و قرأه ، غير أنه لم يثن عزمه على وضعه كتابه بعد إطلاعه على " البرهان " ترى لماذا؟ لأنه وجد ناقصاً غير واف في هذا الموضوع؟ أم أنه وجد نفسه يستطيع أن يضع كتاباً على المنهجية الموسوعية التي كان يتصف بها ، يستجمع فيه كل مسائل هذا الفن على سائر ما فعل في تصانيفه و قد أجاب بنفسه عن ذلك فقال : " و لما وقفت على هذا الكتاب (البرهان) ازددت به

¹ - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ص 77 .

² - المصدر نفسه ، ص 78 .

³ - السيوطي جلال الدين ، الإيقان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 9 .

خاتمة

● خاتمة:

بعد إتمامنا بعون الله هذا البحث خلصنا إلى نتائج من أبرزها :

- إن التمهيد لتدوين القرآن الكريم كان له بعد ديني في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم و الصحابة و التابعين - رضوان الله عليهم - قصد المحافظة عليه من الضياع و صون الألسنة من الخطأ و اللحن .
- إن اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب نتيجة الفتوحات الإسلامية ، حرك تفكير العلماء المسلمين و هممهم نحو استخدام ثقافات غيرهم لخدمة القرآن .
- التعصب المذهبي ، و تعصب التلميذ لشيخه نتج عنه ظهور مدارس أثرت كتبها خزائن التراث الإسلامي .
- عرض موضوعات موجزة حول الدراسات البلاغية و اللغوية في مراحلها الأولى لبيان علاقتها بالقرآن و أهميتها عند العلماء منذ القدم.
- إن تفاوت العلماء في تفسير القرآن يدل على سعة علومه من جهة و اختلاف مذاهبهم و ثقافتهم من جهة أخرى.
- إن تاريخ " علوم القرآن " و الأدوار التي مر بها من الضعف إلى القوة كغيره من العلوم قد بدأ بأطوار النشأة ، و النمو ، ثم النضج و الكمال .
- إن الأبعاد الثقافية و الدينية كان لها الأثر الواضح في الدراسات القرآنية عند العلماء المسلمين ، و بجهودهم المضيئة في التصنيف الموضوعي و الموسوعي استقر التأليف في علوم القرآن كفن جامع مستقل من خلال كتاب " البرهان في علوم القرآن " للزرکشي .

– إن اعتماد الباحثين في الدراسات القرآنية قديما و حديثا على كتاب " البرهان " يدل

دلالة واضحة على أن علوم القرآن عند الزركشي قد بلغت ذروتها في جمع و استقصاء

كل ما يتعلق بمباحث القرآن و علومه.

بعد هذه النتائج التي أوجزتها في نقاط ، أرجو من الله تعالى أن يوفقنا لما يحب و يرضى في التحضير لشهادة

دكتوراه دولة مقترحا هذا الموضوع الموسوم بـ: " البرهان في علوم القرآن بين الإجراء المنهجي و الرؤية

الفكرية "

راجيا من الله عز و جل أن ينفع بهذا البحث الذي بين أيدينا من شاء ، فهذا الجهد أضعه بين يدي القارئ

الكريم ، فما استحسنه فهو توفيق من الله فله الحمد و الشكر ، و ما اعتراه من تقصير فهو من عند نفسي ، و

الكمال لله وحده إنه حسبنا و نعم الوكيل فهو مولانا و نعم المجيب

و الله الموفق

المصادر و المراجع

• قائمة المصادر و المراجع:

- 1- القرآن الكريم. - رواية حفص -
- 2- أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، مكتبة النهضة العربية المصرية ، القاهرة ، ط 7 .
- 3- أحمد جاد الكريم ، التوهم عند النحاة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، سنة 2001 م .
- 4- أحمد شامية ، خصائص العربية و الإعجاز القرآني ، ديوان المطبوعات الجامعية ، سنة 1995 م .
- 5- أبو شهبه محمد ، المدخل لدراسة لقرآن الكريم ، دار اللواء ، الرياض ، ط 1 ، سنة 1986 م .
- 6- ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، جمع و ترتيب: عبد الرحمن بن محمد القاسم الحنبلي ، توزيع رئاسة البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد ، الرياض ، ط 1 ، سنة 1977 م .
- 7- ابن ثعري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، سنة 1976 م .
- 8- ابن حيان يوسف الأندلسي ، البحر المحيط ، العشا حسونة ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، سنة 1991 م .
- 9- ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة ، تحقيق: علي عبد الواحد وافي ، دار الشعب ، القاهرة ، ط 1 .
- 10- ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، دار المعارف ، مصر ، سنة 1952 م .
- 11- ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق: الرحالي فاروق ، الدوحة ، ط 1 ، سنة 1958 م .
- 12- ابن عماد الحنبلي ، شذرات من ذهب في أخبار من ذهب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- 13- ابن كثير أبي الفداء إسماعيل ، البداية و النهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط 5 ، سنة 1984 م .

- 14- ابن الأنباري ، *نزهة الألباء في طبقات الأدباء* ، تحقيق: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ، جمعية إحياء مآثر لعرب .
- 15- ابن الجزري بن محمد الدمشقي ، *النشر في القراءات العشر* ، تصحيح و مراجعة: علي الصبّاح ، دار الفكر بيروت .
- 16- ابن الجوزي أبي الفرج ، *فنون الأفتان في عيون علوم القرآن* ، تحقيق: حسن ضياء الدين عتر ، دار البشائر الإسلامية ، ط 1 ، سنة 1987 م
- 17 -- ابن النديم محمد بن إسحاق ، *الفهرست* ، دار المعارف ، بيروت ، سنة 1976 م
- 18 -- بغدادي بلقاسم ، *المعجزة القرآنية* ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .
- 19- البغدادي أبي بكر بن الخطيب ، *تاريخ بغداد* ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .
- 20 - التهانوي محمد علي ، *كشف اصطلاحات الفنون* ، كلكتا ، سنة 1962 م
- 21 - تمام حسّان ، *الأصول* ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، سنة 1982 م .
- 22- حاجي خليفة ، *كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون* ، دار الفكر ، بيروت ، سنة 1989 م .
- 23- خالد عبد الرحمن ، *تاريخ توثيق نص القرآن الكريم* ، دار الفكر ، دمشق .
- 24- الخطيب لسان الدين ، *الإحاطة في أخبار غرناطة* ، تحقيق: محمد عبد الله عتّان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 1 ، سنة 1972 م .
- 25- الداودي محمد بن علي ، *طبقات المفسرين* ، تحقيق: علي محمد عمر ، مطبعة الاستقلال ، ط 1 ، مكتبة وهبة سنة 1971 م .

- 26- الذهبي شمس الدين ، *سير أعلام النبلاء* ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 2 ، سنة 1981 م .
- 27- الرّومي فهد عبد الرحمن ، *دراسات في علوم القرآن* ، دار المنار ، ط 1 سنة 1990 م .
- 28- الزبيدي محمد بن الحسن ، *طبقات النحويين و اللغويين* ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، سنة 1954 م .
- 29- الزرقاني محمد عبد العزيز ، *مناهل العرفان في علوم القرآن* ، مكتبة المعارف، بيروت سنة 1976 م .
- 30- الزركشي بدر الدين ، *البرهان في علوم القرآن* ، تحقيق: يوسف المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط 2 ، سنة 1415 هـ ، 1994 م .
- 31- تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، ط 3 ، سنة 1979 م
- 32- سبويه ، *الكتاب* ، تحقيق: عبد السلام هارون ، دار الجليل ، بيروت .
- 33- السيد أحمد خليل *دراسات في القرآن* ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، سنة 1996م.
- 34- السيوطي جلال الدين - *الإتقان في علوم القرآن* ، تحقيق: أبي الفضل إبراهيم ، مكتبة المشهد الحسيني ، القاهرة ، مصر.
- 35- *بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة* ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى الحلبي ، مصر ، ط 1 ، سنة 1964 م .
- 36- *طبقات المفسرين* ، طبعة الحضارة الإسلامية، القاهرة، ط1، سنة 1975 م.
- 37- *المزهر في علوم اللغة و أنواعها* ، تحقيق: البجاوي، دار الجليل، بيروت.

- 38- شوقي ضيف ، *المدارس النحوية* ، دار المعارف ، القاهرة ، سنة 1987 م .
- 39- الشريف الرضي ، *تلخيص البيان في مجازات القرآن* ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط 1 ، سنة 1955 م .
- 40- الشواخ علي إسحاق ، *معجم مصنفات القرآن الكريم* ، دار الرفاعي ، الرياض ، ط 1 سنة 1982 م .
- 41- صبحي صالح ، *مباحث في علوم لقرآن* ، دار الملايين ، بيروت ، ط 8 ، سنة 1989 م .
- 42- الطبري محمد بن جرير ، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن* ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط 3 ، سنة 1956 م .
- 43- طبعة أخرى: دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1403 هـ، 1983 م.
- 44- عباس حسن ، *اللغة و النحو بين القديم و الحديث* ، دار المعارف ، القاهرة ، سنة 1966 م .
- 45- عبد الجليل عبد الرحيم ، *لغة القرآن الكريم* ، مكتبة الرسالة ، عمان .
- 46- عبد السلام كفاي ، *في علوم القرآن (دراسات و محاضرات)* ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت 1971 م .
- 47- عبد العزيز عتيق ، *في تاريخ البلاغة العربية* ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1970 م
- 48- عبد العال سالم ، *القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية* ، دار المعارف ، القاهرة ، سنة ، 1968 م .
- 49- عبد العزيز العيادي العروسي ، *الأنصاف القرآنية* ، مطبعة طبل ، طنجة ، المغرب ، ط 3 ، سنة 2000 م .

- 50- عبد القادر حسين ، *المختصر في تاريخ البلاغة* ، دار الشروق ، بيروت ، ط 1 ، سنة 1970 م .
- 51- عبد الله أحمد جاد الكريم ، *النحو العربي عماد اللغة و الدين* ، مكتبة الآداب علي حسن ، القاهرة ، سنة 1466 هـ ، 2002 م .
- 52- عبد الله شحاتة ، *علوم القرآن و التفسير* ، دار الاعتصام ، مطبعة جامعة القاهرة و الكتاب الجامعي ، سنة 1983 م .
- 53- علي النجدي ناصف ، *سبويه إمام النحاة* ، هضة مصر ، القاهرة .
- 54- الغزلان عبد الوهاب ، *البيان في مباحث علوم القرآن* ، دار التأليف ، القاهرة .
- 55- فؤاد سيزكين ، *تاريخ التراث العربي* ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، القاهرة ، سنة 1971 م .
- 56- فاروق حمادة ، *مدخل إلى علوم لقرآن و التفسير* ، مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب ، ط 1 ، سنة 1978 م .
- ف فرحون بن محمد المالكي ، *الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب* ، تحقيق: محمد الأحدي أبو التور ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .
- 58- فوزي مسعود ، *سبويه جامع النحو العربي* ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، سنة 1986 م .
- 59- القرطبي محمد عبد الله ، *الجامع لأحكام القرآن* ، دار الفكر ، ط 2 ، سنة 1952 م .
- 60- لبيب السعيد ، *الجمع الصوتي للقرآن الكريم أو المصحف المرتل* ، دار الكتابة للطبع و النشر ، القاهرة .
- 61- محمد بكر إسماعيل ، *دراسات في علوم القرآن* ، دار المنار ، ط 1 ، سنة 1990 م .

- 62- محمد زغلول سلام ، *أثر القرآن في تطوّر النقد العربي* ، مكتبة الشباب ، ط 1 ، سنة 1982 م .
- 63- محمد صفاء إبراهيم حقي ، *علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير* ، مؤسسة الرسالة .
- 64- محمد عبد الكريم الراضي ، *التنبيه على فضل القرآن* ، مجلة المورد ، العدد 4 ، المجلد 17 ، سنة 1988 م
- 65- محمد طنطاوي ، *نشأة النحو* ، دار المنار ، القاهرة ، سنة 1991 م .
- 66- مساعدة مسلم آل جعفر ، *أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي* ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، سنة 1984
- 67- مصطفى زيد ، *النسخ في القرآن الكريم* ، دار الوفاء ، مصر ، سنة 1986 م .
- 68- التحاس أبي جعفر ، *الناسخ و المنسوخ* ، تحقيق: سليمان إبراهيم الأحم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 1 ، سنة 1991 م .
- 69- ياقوت الحموي ، *معجم الأديباء* ، دار الفكر ، ط 3 ، سنة 1989 م .
- 70- يوهان فك ، *العربية* ، ترجمة: عبد الحلیم التجار ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، سنة 1951 م .



فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
- مقدمة	01
- مدخل	08

القسم الأول: الأبعاد الثقافية و الدينية

- الفصل الأول : الأبعاد الدينية	20
- تمهيد	21
- المبحث الأول : رسم القرآن الكريم	22
- تمهيد	23
- خصائص الرسم العثماني	25
- لجنة المصحف	28
- المبحث الثاني: تقعيد اللغة العربية	30
- تمهيد	31
- دوافع ضبط حروف القرآن	32
- الرموز و المصطلحات	34
- المبحث الثالث : تفسير القرآن الكريم	38
- تمهيد	39
- تفسير الرسول صلى الله عليه و سلم	40
- تفسير الصحابة و التابعين رضي الله عنهم	42
1- مدرسة مكة	43
2- مدرسة العراق	43
3- مدرسة المدينة	44
- أشهر المفسرين	45
• تفسير عبد الله بن مسعود المتوفى سنة (32 هـ)	45
• تفسير عبد الله بن عباس المتوفى سنة (68 هـ)	46

49	- الفصل الثاني: الأبعاد الثقافية
50	- تمهيد
52	- المبحث الأول : الدراسات البلاغية
53	- تمهيد
53	1- مذهب المتكلمين
56	2- مذهب اللغويين و النحاة
58	3- مذهب الفقهاء
58	4- مذهب علماء الإعجاز
61	5- مذهب الأدباء
62	- المبحث الثاني : الدراسات اللغوية
63	- تمهيد
64	1- البعد الديني
65	2- البعد الثقافي
66	- جهود العلماء في إعراب القرآن
68	- جهود العلماء في القضايا اللغوية و النحوية
71	- المدارس النحوية
74	- المبحث الثالث: الدراسات القرآنية
75	- تمهيد
76	أ- علم التفسير
78	ب - علم معاني القرآن
79	ج - علم إعراب القرآن
80	د - علم غريب القرآن
81	هـ - علم الناسخ و المنسوخ
84	و - علم المحكم و المتشابه
84	ز - علم فضائل القرآن و القراءات القرآنية و عد الآي

القسم الثاني: علوم القرآن نشأة و تطوراً

- الفصل الأول: علوم القرآن الكريم بالمعنى
 المدوّن في كتب التفسير - دراسة نموذجية - 90
- تمهيد 91
- المبحث الأول: مقدمة تفسير " جامع البيان " للطبري 93
- تمهيد: التعريف بالمؤلف 94
- التعريف بالكتاب و المقدمة 95
- موضوعات علوم القرآن 96
- منهج الطبري في مقدمة تفسيره 103
- المبحث الثاني: مقدمة تفسير " المحرر الوجيز " لابن عطية الأندلسي 107
- تمهيد: التعريف بالمؤلف 108
- التعريف بالكتاب و المقدمة 110
- موضوعات علوم القرآن 111
- منهج ابن عطية في مقدمة تفسيره 120
- المبحث الثالث: مقدمة تفسير " الجامع لأحكام القرآن " للقارطي 123
- تمهيد: التعريف بالمؤلف 124
- التعريف بالكتاب و المقدمة 125
- موضوعات علوم القرآن 126
- منهج القارطي في مقدمة تفسيره 145

- 151 الفصل الثاني: التأليف في علوم القرآن
- 152 تمهيد
- 153 المبحث الأول: الجانب الموضوعي لعلوم القرآن
- 154 تمهيد
- 155 أسباب النزول
- 155 إعجاز القرآن
- 157 إعراب القرآن
- 158 غريب القرآن
- 159 القراءات القرآنية
- 160 المحكم و المتشابه
- 162 مناسبات القرآن
- 162 الناسخ و المنسوخ
- 165 الوجوه و الأشباه و النظائر
- 167 المبحث الثاني: الجانب الموسوعي لعلوم القرآن
- 168 تمهيد
- 168 1- كتاب فهم القرآن
- 169 2- التنبية على فضل علوم القرآن
- 169 3- كتاب البرهان في علوم القرآن
- 171 4- كتاب الحاوي في علوم القرآن
- 172 5- كتاب عجائب علوم القرآن
- 172 6- كتاب فنون الأفنان في عيون علوم القرآن
- 173 7- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز
- 173 8- البرهان في علوم القرآن
- 173 9- الإتقان في علوم القرآن
- 175 المبحث الثالث: استقلال التأليف في علوم القرآن - دراسة موازنة -
- 176 تمهيد
- 176 " البرهان في علوم القرآن "
- 177 " الإتقان في علوم القرآن "

- 178 - " البرهان " و " الإتيقان " في الميزان
- 179 - الجدول الأول: أنواع علوم القرآن في كتاب " البرهان "
- 182 - الجدول الثاني: الأنواع المشتركة في " الإتيقان " و " البرهان "
- 184 - الجدول الثالث: الأنواع التي انفرد بها " البرهان "
- 185 - الجدول الرابع: الأنواع الزائدة في " الإتيقان " على ما في " البرهان "
- 187 - مهمة و تحقيق
- 188 - قول السيوطي في البرهان
- 190 - خاتمة
- 193 - المصادر و المراجع
- 199 - فهرس المحتويات